الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي – الأغواط
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة الماستر

تقديم الطالبة : بن براهيم الضاوية إكرام

الميدان : لغة وأدب عربي

الفرع : دراسات أدبية

التخصص : أدب عربي حديث ومعاصر

فن السيرة عند العقاد

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الدرجة	الصفة
شعيب إبراهيم	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
مختاري فاطمة	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا
بلغربي عبد الرحمان	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية

1438ه/1439ه الموافق ل 2017م/2018م

الإهداء

إليك ربي أهدي عملي المتواضع هذا قاصدة وجهك وراجية رضاك وعاملة بأمرك ((**وقل اعملو فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**)) .

إليك حبيبي وقرة عيني يا طب النفوس ودوائها ونور القلوب وجلائها إليك سيدي يا رسول الله صلّ الله عليه وسلم .

أهدي ثمرة هذا العمل إلى من قال الرحمان في حقهما ((وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا)) ، إلى أغلى شمعتان اللتان تنيران دربي إلى اللّذَين كانا دوما مثلي الأعلى وقدوتي في حياتي وخير سندٍ لي ، إلى من سهرا وتعبا من أجل إسعادي وإيصالي إلى ما أنا عليه إلى اغلى الناس إلى من نطق لساني فهتف باسمهما فكان بلسما لكل الجروح ، يا من أوصاني خليلي بها ((أمك ثم أمك ثم أمك)) أمي الغالية .

إلى من كان سندي في هذه الدنيا ، ومدني بالقوة لتخطي الصعاب ، إلى أعزّ وأغلى ((أب)) حفظك الله ورعاك ، على أخوتي الأعزاء : يسرى ، علي ، عبد الرؤوف ، فرح خديجة

إلى جدتي الغالية " الحاجة فريحة " وأخوالي وخالاتي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل خاصة خالي ((بشير)) و عمي ((لمين))

الضاوية إكرام

0 220406
119021

تشكـــــــــرات

أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة المشرفة

الدكتورة مختاري فاطمة

على ماقدمته لي من دعم في إنجاز هذا البحث ، بتوجيهاتها

ونصائحها القيمة وافادتها لي بالمعرفة وبطرق البحث

ومنهجيتها

كما أشكر لجنة المناقشة على تقبلهم عناء القراءة والمناقشة

كما أتوجه بالشكر لكل من دعمني في انجاز

هذا البحث المتواضع .

مقدمة:

لقد لقي فن السيرة إقبالاً كبيراً لدى العديد من الباحثين ، حيث حظي بدراسة وبحث هؤلاء ، فأولوه عناية وأهمية ، فهي تمثل ذلك القالب الوعائي الذي تُصب فيه أصدق الكتابات والاعترافات لحياة شخص يكتبها صاحبها أو غيره ، وذلك بتسجيل أحداث ووقائع مرّ بها من طفولته إلى شبابه وكهولته.

فالسيرة هي عبارة عن كشف خبايا وأسرار تكتب بصدق ، بعيداً عن التحفظ والتنميق والتزويق ، فهي ترجمة ذاتية يعترف فيها صاحبها بكل صغيرة وكبيرة ، وهذا النوع من السيّر يسمى بالسيرة الذّاتية ، كما نجد نوعاً آخر من هذه الكتابات ، وهي الكتابة عن شخص آخر له مكانة بارزة أو درجة علمية ، فيُعجب به شخص ثان ويتناول سيرته فيسرد لنا حياته ، فيكتب عن خصاله وأهم أعماله ، وهذا ما نُسميه بالسّيرة الغيْرية.

إشتهر هذا النوع من الكتابات في عالمنا العربي ، فظهرت أسماء لامعة وشخصيات بارزة كتبت في فن السيرة وبنوعيها ، فمن أشرها:

أشهر كتاب السيرة الذاتية : طه حسين في كتابه "الأيام" ، فدوى الطوقان في كتابها "رحلة جبلية رحلة صعبة" ، إحسان عبّاس في كتابه "رحلة راعي" ، عبّاس محمود العقاد في كتابيه "أنا" و"حياة قلم" ، ومن أشهر كتاب السيرة الغيرية: محمد سعيد العريان في كتابه "حياة الرافعي" ، فدوى الطوقان في كتابها "أخي إبراهيم" ، ميخائيل نعيمة في كتابه "جبران" ، عبّاس محمود العقاد في كتابه "العبقريات".

وقد سلطنا الضوء في بحثنا هذا على الكاتب الكبير "عبّاس محمود العقاد" الذي لمع اسمه وذاع صيته في أدبنا العربي ، فأبدع هو أيضاً في فن السيرة بنوعيها ، فقد كتب عن نفسه في كتابه "أنا" الذي خصّه بالحديث عن جانبه الشّخصي ، أما كتابه "حياة قلم" فخصّه بجانبه السياسي و الإجتماعي ، كما كتب عن سيّر غيره ، فكتب عن شخصيات عديدة ، ومن مجالات مختلفة ، تناول سيّرهم وقام بدراستها وتحليلها من خلال كتاباتهم وكذلك من خلال ما وصل إلينا من أخبارهم وكذا أعماله ، فقام باستنباط أهم الصفات والمزايا التي تميّزوا بها عن غيّرهم ، معتمداً على منهج معين ساعده في الدراسة ، وعلى هذا الأساس يمكننا طرح الإشكالية التالية:

ما هو المنهج الذي اعتمده العقاد في دراسته للسيّر؟ وهل ناسب هذا المنهج هذه السيّر؟ وأيضاً هل عكس هذا المنهج ما كان يصبو إليه؟.

ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع قمنا بتقسيم البحث إلى مدخل وفصلين وخاتمة .

فالمدخل: تطرقنا فيه إلى تعريف فن السيرة ونشأتها وأنواعها وكذا الألوان القريبة منها ، أما **الفصل الأول:** فكان مخصّصا لدراسة سيرة العقاد الذّاتية ، وهذا من خلال ما كتبه هو عن نفسه وما كتبه عنه الآخرون ، وفي **الفصل الثاني:** فتناولنا فيه السيّر الغيّرية التي كتبها العقاد ودرسها ، كسيرة "ابن الرومي" و"عمر بن الخطاب" و"سعد زغلول".

كانت هذه إذاً موضوعات بحثنا هذا ، ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع هي:

1/-إعجابنا الشديد بكتابات العقّاد.

2/-أهمية فن السيرة في أدبنا العربي الحديث .

وبما أن موضوعنا هذا عبارة عن دراسة وتحليل ، فقد اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي إضافة الى المنهج التاريخي الذي تتبعنا فيه سير الشخصيات موضوع الدراسة ، وهذا راجع لطبيعة البحث الذي يحتاج لهذا النوع من المناهج.

أما بالنسبة للكتب التي اعتمدناها فهي الكتب الخاصة بفن السيرة "الذّاتية والغيّرية" وكتب العقاد السيرية

من خلال إنجازنا لهذا البحث واجهتنا عدّة صعوبات وعراقيل ، من أهمها:

-قلة الكتب في هذا المجال في مكتباتنا الجامعية

-ضيق الوقت .

-كثرة البحوث المقررة في هذه السنة.

وما يسعني في الأخير إلا أن أشكر الأستاذ المشرف على تقبله عناء القراءة و المناقشة ، وأسأل الله التوفيق في أن تكون هذه الرسالة المتواضعة قد أعطت صورة عن فن السيرة ولو بقليل ، وأرجو أن أكون قد وفقت في هذا العمل ، وما توفيقي إلاّ مِن الله علية توكلت وإليه نُنيب ، فإن أصبتُ فبعونه تعالى وإن أخطأتُ فمن نفسي ، وجلّ من لا يُخطئ.

أولاً/- مفهوم السِّيرة:

عُرفت السِّيرة منذ القدم عند العرب ، فكانت في بداياتها عبارة عن تراجم ، و عرفت في الجاهلية من خلال التفاخر بالأنْساب و بالقبائل و بذكر خصال الشعوب والقبائل ، و مع العصور بدأ هذا الفن يتطور تدريجيا حتى وصل إلى ما هو عليه الآن.

أ/ لغة: هي الطريقة أو السنة و الهيئة ، و "سار" الولي في الرعية "سيرة" حسنة ، و أحسن "السير" الأولين و قال خالد بن زهير:

فلا تغضبن من سُنّةٍ أنت سِرْتها فأوّل راضي سُّنة من يسيرُها.[1]

- و في لسان العرب لابن منظور: السيرة الطريقة ، يقال سار بهم سيرة حسنة ، و السيرة الهيئة ، و سيّر سيرة حدّث أحاديث الأوائل.
- و في معجم الوسيط: سيّر فلان سيرة ، حدّث بأحاديث الأوائل كما وردت السيرة بمعنى السنة و الطريقة و السيرة الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره ، و السيرة النبوية و كتب السير مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة التي أدخل فيها الغزوات وغير ذلك ، يقال قرأت سيرة فلان أي تاريخ حياته[2].

ب/ اصطلاحاً: هي عمل أدبي يقوم بتأليفه صاحبه ، يعرض لسيرة حياته في إطار عصره ، دون أن يلزم نفسه بمنهج المؤرخ الذي يقوم برصد أحداث عصره ، و هذا العمل يتوافر فيه روعة التعبير الأدبي و جودة الصياغة الفنية ، و التناسق بين أطرافه ، في رابطة فنية محكمة ، مع اختلاف مصدر التشكيل الفني من كاتب لآخر[3].

ثانيا/-نشأة فن السّيرة:

السّيرة الذّاتية تمشي إلى جانب التاريخ جنباً إلى جنب ، تنشأ و تشب في حضن التاريخ ، و هي تتحدث عن فرد منذ ولادته و تعليمه إلى لقاء ربه ، يذكر إحسان عبّاس هذه العلاقة الوطيدة بين السّيرة الذّاتية و التاريخ ، إذ يقول:" كلما كانت السّيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع ، و أعماله

1- عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ب ط ، 1998 ، ص01.

2- ناصر بركة ، أدبية السيرة الذاتية في العصر الحديث ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب الحديث ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، 2012-2013 ، ص 15.

3- ينظر: عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص 02.

متصلة بالأحداث العامة أو منعكسة منها ، أو متأثّرة بها ، فإن السّيرة تحقق غاية تاريخية ، فالتاريخ قد يكون تأريخاً لحياة قوم ما بل يمكن من تقصي التاريخ و التدقيق في تلك السّر ، رسم صورة عن تاريخ تلك الأمة"[1] .فمن خلال هذا يتبين لنا علاقة السّيرة الذّاتية بالتاريخ ، إذ لا يمكن فصل التاريخ عنها ، لأنها نشأت و ترعرعت فيه ، فالتاريخ له دور في تأريخ حياة الشخصية أو الحدث المراد دراسته ، من أجل توثيقه و يبقى حدثاً خالداً مؤرخاً للأجيال الصّاعدة.

ومن السيّر ، سيرة "حنّا" لإبراهيم الشاب ، فهو يؤرخ فيها لحرب 1948م و كذلك لحرب 1967م و فيها يرسم صورة واضحة لليهود في تلك الفترة ، و نجد الأمر نفسه في كتاب مريد البرغوثي «رأيت رام الله» حيث يؤرخ و يكتب فيها لحرب 1967م ، و يكتب السّيرة الذّاتية مرتبطاً بالتاريخ ، يقول أحمد أمين في كتابه «حياتي»: لماذا لا أؤرخ حياتي لعلها تصوّر جانباً من جوانب جيلنا ، و تصف نمطاً من أنماط حياتنا ، لعلها تفيد اليوم قارئاً و تعين غداً مؤرّخاً[2].

نجد صلة السّيرة الذّاتية بالتاريخ صلة قوية ، لأنهما يشتركان في تسجيل الوقائع و الأحداث و المواقف و تصوير مختلف البيئات و المآثر و الكشف عن الصّور المادية و النّفسية ، و إذا كانت السّيرة الذّاتية تنبع من صلب الأدب ، فهذا لا يعني أن الحس التاريخي منعدم في كتابة التاريخ الخاص الفردي ، بل إنه على العكس حاضر بأبعاده الثلاثة المتمثلة في الماضي و الحاضر و المستقبل ، فإذا نظرنا أكثر في طبيعة هذا الجنس الأدبي نصل إلى تعبير دقيق و عميق من حيث حمولته الدلالية و هو أن هذا النوع من الأدب تتجاذبه قوتان: سلطة الأدب و قوة التاريخ ، لأن الكاتب يصوغ تاريخه الخاص صياغة أدبية[3].

وما من شك في أن للحس التاريخي دوراً كبيراً و تأثيراً مباشراً في إدراج نص السّيرة الذّاتية و عرضها في تحديد البناء العام لكل تاريخ فردي ، و هناك عدّة أمور تبعد السّيرة الذّاتية عن الأدب و تقرّبها من كتب التاريخ ، و هي:

---

[1]- ينظر: عبد المجيد البغدادي ، فن السيرة الذاتية و أنواعها في الأدب العربي ، مجلة القسم العربي جامعة بنجاب، لاهور- باكستان،العدد الثالث والعشرون، 2016، ص 198.

[2]- ينظر: نفسه، ص199.

[3]- ينظر محمد يوسف ، السيرة الذّاتية و حقائقها في التاريخ ، جامعة جواهر لال نهرو ، نيودلهي ، الهند ،تاريخ الإطلاع: iid-alraid.com. 12:30- 2018/05/05

ـــــــ الإلتزام في كتابة السّيرة الذّاتية بالصّدق التاريخي و ليس بالصدق الفني.

ـــــــ البعد عن سيطرة العاطفة ، فإن زادت العاطفة تنحرف بالسّيرة عن طبيعتها[1].

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا قوة الترابط و أهمية التاريخ بالنسبة للسّيرة الذّاتية ، إلا أن هناك بعض نقاط الاختلاف بينهما ، ولعل أهمها:

أنّ السيرة الذّاتية تعتمد على الذّاكرة فقط و قد تسقط بعض الأشياء و الأمور و تغفل عن بعضها الآخر ، بينما التاريخ يعتمد على الوثائق العلمية و الشهادات الموثوقة ، من هنا يتضح أهم فرق بين السّيرة الذّاتية و التاريخ ، نستطيع القول بأن السّيرة الذّاتية فن أدبي مرتبط بالتاريخ ، و الدليل على ذلك أن كثيراً من السيّر حين تفقد العنصر التاريخي تصبح أقرب إلى الإخبار الذي يراد منه الفائدة العامة فقط[2].

أ/_نشأة السيرة عند الغرب:

فن السّيرة كان له وجود في الأدب الغربي ، إلاّ أنّها لم تكن سيّراً كاملة المعالم ، فكانت الكتابات التي تُكتب تهتم بحياة الشخصيات الدينية تعرض علينا أهم أعمالهم فكانت في بداياتها تراجم ، ثم تطورت فأصبحت عبارة عن اعترافات ، وبدأ هذا النّوع يتطور شيْئًا فشيْئًا ، وبعد ذلك ظهرت بعض الأسماء وكتبت في هذا الفن.

"يبدو أن السّيرة الذّاتية بالمفهوم الحديث لم يكن لها وجود في الأدب الغربي قبل عام 1600م ، ثم ظهرت بعد ذلك و في فترات طويلة حتى عام 1100م ، و إذا كان هؤلاء الكتاب يتوخون ما يشبه بعض السنن الأدبية في كتاباتهم ، و لكن رغم ذلك لم يستطيعوا صنع جنس أدبي جديد ، و أقدم ما كتب في فن السّيرة كان على يد شخصين يونانيين هما:ثيوفراستوسTheophrastus (372-288 ق.م) بلوتاركPlutrach (122-48 ق.م) غير أنهما إهتماهما بالأنماط العامة أكثر من إهتمامهما بالصفة الشّخصية"[3].

---

[1]- ينظر: المرجع السابق، 2018/05/05-37: iid-raid.com.12

[2]- ينظر عبد المجيد البغدادي ، فن السيرة الذاتية و أنواعها في الأدب العربي ، ص 200.

[3]- شعبان عبد الحكيم محمد ، السيرة الذّاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية ، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع ، ط1 2008 ص 32.

وقد ظهرت السّيرة في الأدب الإنجليزي في بداية عام 1579م ، و كان أول هذه السير موقوفاً على حياة القديسين و معجزاتهم و الأعمال الجميلة في حياة هؤلاء ، و من بين هذه السّير ما كتبه ألفرك Aelfric من سيرة أزوالد Oswald و القديس أدمون Edmund ، و كانت عبارة عن فن السّير و التراجم في الأدب الإنجليزي و قد ظلّت إلى القرن التاسع عشر حتى أصبحت فرعاً من فروع الأدب ، و من أشهر التراجم الذّاتية إعترافات القديس أوغسطين Augustin التي تعتبر قمّة الاعترافات الدّينية (354-430م)[1].

يبدو لنا أنّ الغرب استمدّوا سيّرهم الذّاتية من الآداب الغربية الأخرى ، و المتمثلة أساسا في الرسائل غيرها ، و هناك عوامل أدّت إلى ظهور هذا النوع من الأدب ، وكانت هذه العوامل ترتكز عليها دياناتهم تدعو إليها مما سهّل ظهور هذا النوع الأدبي و كتابة بعض السيّر الذاتية لشخصيات لها ذيوع واسع و مكانة مرموقة.

ونجد أن السّيرة الذّاتية لدى الغرب في التراث اليوناني و الروماني و المتجسدة في الوصايا و الرسائل التي خلفها القساوسة و رجال الدين ، فالأسباب التي أباحت ظهور هذا الجنس الأدبي "هي أسباب دينية اجتماعية تتصل بالمجتمع الغربي ، ذلك أن محاسبة النفس و الإيمان بالأخوة بين البشر و بتساوي النّفوس كلها في القيمة التي تدعو إليها المسيحية ، سهّلت ظهور بعض السيّر الدينية الشهيرة في القرنين السابع عشر و الثامن عشر الميلاديين ، و منها و كما ذكرنا آنفاً إعترافات القديس أوغسطين Augustin ، ثم ظهرت إعترافات أخرى أشهرها تولستوي Tolstoy و روسو Rousseau"[2].

شهد القرن الثامن عشر ظهور سير ذاتية عديدة ، منها سيرة بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin سنة 1766م ، و مذكرات إدوارد جيبون Edward Gibbon سنة 1796م ، و إعترافات جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau ما بين سنة 1781-1788م ، و التي أثبتت أهميتها في تطوير مفهوم السّيرة الذّاتية ، و ذلك في إصراره في بداية الإعترافات على إستقلاله الفردي الذي لا نظير له ، كما

[1] - المرجع السابق ، ص 32.

[2] - ينظر: الهوارية عراج ، تقاطع النقد و الإبداع في الأدب العربي المعاصر كتابات عبد الكريم الأشتر أنموذجاً ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير مشروع: السيرة الذاتية في الأدب العربي ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2011-2012 ، ص 18.

نجد هناك ترجمتان ذاتيتان كان لهما أهمية كبرى في تطور هذا الفن ، الأولى كتبها الفيلسوف ديفيد هيوم David Humeسنة 1777م و الثانية كتبها المؤرخ الإنجليزي إدوارد جيبونE Gibbon[1].

كانت هذه بعض السيّر الذّاتية و إعترافات لبعض الشخصيات الدّينية و شخصيات أخرى ، كتبت عن نفسها و خلدت نماذج حتى تصبح قدوة لمن يخلفها ، إشتهر هذا النوع في أوروبا خاصة في القرن الثامن عشر ، مع هذا الكم الهائل من هذه السيّر الذّاتية ، إلاّ أنّها لا تعد فنّاً أوروبياً خالصاً كما يظن البعض ، فهناك من يعترف و يقرّ بهذا الجنس الأدبي و أصوله العربية.

وعلى الرغم من التطور الكبير الحادث في السّيرة الذّاتية منذ القرن السادس عشر و حتى القرن العشرين في أوروبا ، فإن ذلك لا يعطي للغربيين الحق في الإدعاء بأن السّيرة الذّاتية إنما هي مجرد جنس أدبي أوروبي خالص ، كما إدعى"جورج روز نتال"G. Rose و"جورج مشGeorge" ، و ربما كان السيد "دويت رينولدز" Dwight Reynoldsمنصفاً مع نفسه و منحازاً إلى الحقيقة عندما وقف مدافعاً عن السيرة الذّاتية في الأدب العربي[2] ، حيث كان ضد تلك الادعاءات في مقال له بعنوان: "السّيرة الذّاتية في الأدب العربي الفكرة المغلوطة عن الأصول الأوروبية" و ذلك حين قال: "تبدو أفكار مش و روز نتال هذه غريبة خاصة عند النظر إليها على خلفية الأبحاث الأوروبية في القرن التاسع عشر ، و التي احتل العرب فيها مكانة خاصة بفضل مفهومهم عن الفرد ، خلافاً لغياب الفرد في أوروبا ما قبل عصر النهضة"[3].

"و مع هذا اللإعتراف إلا أن الجدل يبقى قائماً حول النشأة الأولى لفن السّيرة الذّاتية عند الغرب يفترض جورج ماي G.May بشأن السّيرة الذّاتية أن هناك فكرة مقبولة من طرف كثير من الباحثين مفادها أن السيرة الذّاتية ظاهرة غربية بامتياز ، غير أنه يشير إلى صعوبة الإتفاق حول زمن ظهورها استناداً على تاريخ معلوم.

---

[1]- ينظر:ندى محمود مصطفى الشيب ، فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني ، المشرف عادل أبو عمشة، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا أطروحة ماجستير ، نابلس ، فلسطين ، 1427ه/2006م ، ص 17.

[2]- نفسه ، ص 19.

[3]- نفسه ، ص 19.

ويؤيد شوقي ضيف جورج ماي G.May في ذلك ، و يرى أن العرب تأثروا بغيرهم من الأمم الأخرى كاليونان خاصة الفلاسفة و قلّدوهم في كتاباتهم"[1].

ومن خلال هذا يتضح لنا أن كل أمة تأخذ عن الأمة التي قبلها ، فإن كان العرب المسلمون قد استفادوا من اليونان و الرومان ، و أخذوا عنهم العلوم و المعارف ، فقد أضافوا و زادوا عليها الكثير عبر قرون من الزمن الزاهر للحضارة الإسلامية ، ثم جاء الغرب في العصر الحديث و أخذوا كل ما وصل إليهم من العرب من ثقافة و حضارة و فنون مختلفة ، ثم أكملوا الطريق فظهرت فنون و علوم مستّحدثة ، مثلما ظهرت فنون و علوم مستحدثة في العصور الزّاهرة للعرب و المسلمين[2].

ويمكننا القول أنّ السّيرة الذّاتية بدأ التاريخ لها في الغرب نهاية القرن الثامن عشر ، إذ يرجع الفضل إلى اعترافات "جان جاك روسو"G.j.Rousseau في نماء هذا الجنس الأدبي و تطوره ، حتى أصبح له كيان أدبي مستقل خاص.

وهذه بعض الأمثلة للسّيرة الذّاتية عند الغرب:

«الشعر و الحقيقة» للشاعر و الأديب الألماني "غوته"Goethe(1749-1832م).

«أشهد أني قد عشت» للشاعر التشيلي "بابلو نيرودا" Pablo Neruda (1904-1973م)[3].

ب/_نشأة السيرة عند العرب:

يزخر الأدب العربي قديماً و حديثاً بفنون أدبية شتى و فنون أخرى في مجالات عدّة ، و من بين هذه الفنون الأدبية فن السّيرة الذّاتية الذي عرفها العرب قديماً ، و هذا من خلال الفخر بالقبائل و الأنساب ذكر محاسن قبائلهم و كرمها لأنها تمثله هو شخصياً ، فيكتبها على شكل شعر و هذا ما كان شائعاً في القديم ، و هذا باعتراف الغرب بأن الأصول الأولى لهذا الفن عُرف عند العرب في الجاهلية.

---

[1]- مريم حماد عليان الحسنان ، السيرة الذاتية في الأدب الإسلامي الحديث ، قدم هذا البحث لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي ، الجامعة الإسلامية ، عمادة الدراسات العليا ، غزة ، فلسطين ، 1434ه/2013م ، ص 26.

[2]- نفسه ، ص 27.

[3]- راوية سمير عاشور ، السيرة الذاتية الشعرية و النثرية تجربة عيسى راشد أنموذجاً، رسالة مقدمة لإستكمال متطلبات الحصول على درجة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إشراف جمانة السالم، جامعة الشرق الأوسط ، ب.د ، تموز، 2014، ص 12.

غير أن هناك من ينكر وجود أصول السّيرة الذّاتية في الأدب العربي القديم ، مثل جورج مايو هناك من يعترف بوجودها إلا أنه ينسبها لغير العرب من فرس و موال مثل عبد الرحمن بدوي ، إلا أن الإنسان العربي كان يرى في مدح قبيلته مدحاً له شخصياً ، و في ذمّها ذمّا له ، و ولاء العربي لقبيلته لا يعني نقص إحساسه بذاته ، بل يدل على شدة إحساسه بها و رغبته في أن يظل قادراً على الفخر بنفسه قبيلته أمام القبائل الأخرى[1].

ومن الذين رأوا أنّ السّيرة الذّاتية نشأت عند العرب في الجاهلية "كارل بروكلمان"Carl Brokelmann الذي يقول: "كان عرب الجاهلية يفخرون بذكر مآثر أسلافهم و أيامهم و أنسابهم ، و كأن سمرهم يجري على رواية أيامهم و إذا لم تصلنا نصوص نثرية مكتوبة سردها إنسان عاش في العصر الجاهلي عن نفسه فذلك لأن الكتابة كانت قليلة في ذلك العصر ، فكان يصلنا في صورة الشعر و لا يصلنا في صورة النثر لأن الشّعر أسهل في الحفظ و التّداول بين الرُّواة"[2].

نرى أن للشعر ميزة يتميز بها العرب عن غيرهم ، مما سهل في كتابة سيّرهم الذّاتية ، بحيث إن الشاعر يصور نفسه و يمدحها أو يذمّها من خلال أبياته ، فعند قراءتنا لتلك الأبيات يتضح لنا معالم هذه الشّخصية المصورة في هذه السطور ، فجُلّ الشّعراء ساروا على هذا النّحو و أخذوا من الشّعر مقصداً للّتعريف بأنفسهم.

ومن خلال هذا نجد أن إدراك العربي الشاعر لمقوماته الشخصية في شعره جعله يرى في كتابة سيرته الذّاتية أمراً قام به بالفعل ، حيث يتيح له الشعر أداء وظيفة السّيرة الذّاتية ، فإن الشعر يظهرنا على صورة كالتي نعرفه بها في سيرته و أخباره و من أجل ذلك قال البارودي متمثلاً في السّيرة الذّاتية:

فانظر لقولي تجد نفسي مصورة في صفحتيه ، فقولي خط تمثالي

[1] – ينظر: تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي، فدوى طوقان و جبرا ابراهيم جبرا و إحسان عباس،نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت– الصنايع، ط1، 2002، ص 37.

[2] – ينظر: نفسه ، ص 38.

وقد قام العقاد باستعراض ديوان البارودي ، و خرج من دراسته بأنه لا يرى لا بيتاً واحداً فيه إلا و هو يدل عليه ، كما عرف في حياته العامة و الخاصة كما وصفته أعماله[1].

نستطيع القول أنّ الشعر العربي قد تضمّن في أعطافه بذور السّيرة الذّاتية قبل أن تستقل فنّاً من فنون القول ، فظهرت شخصية العربي في شعره ، سواء في تجاربه الذّاتية أو في تجاربه الموضوعية فاتجه إلى كتابة السّيرة الذّاتية التي عني بها العلماء و المتصوفة و رجال السّياسة خاصة ، و الفلاسفة و العلماء عنوا بالتحدث عن حياتهم الفلسفية أو العلمية و ما ألفوا و خلفوا من مصنفات ، فقدموا لنا مذكرات و وثائق تاريخية ، و إن كانوا قلّما قدموا حياتهم الخاصة في شكل يوميات دقيقة[2].

ظلّ هذا الفنّ يتطور عند العرب قديماً و أخذ أشكالاً متنوعة ، من يوميات و مذكرات قصد توثيق حياتهم و معارفهم و مكتسباتهم من أجل الإفادة و تخليداً لمحاصيلهم المعرفية ، فهذه الأشكال كانت قريبة جداً من السّيرة الذّاتية و لم تتخذ شكل السّيرة الذّاتية في العصور القديمة.

أمّا بالنسبة للعصر الإسلامي فإن أول قطعة من السّيرة الذّاتية وصلتنا هي ما رواه سلمان الفارسي (32-656ه) عن نفسه ، و قد أورد هذه القطعة الخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد» و أسندها إلى ابن عباس ، تحدّث سلمان الفارسي في هذه القطعة من السّيرة الذّاتية عن نسبه ، و تعتبر هذه القطعة هي أول بذرة للسّيرة الذّاتية غرسها سلمان الفارسي ، في القرن الأول الهجري ، وبعدها نجد باقة من قطع السيّر الذّاتية متناثرة في كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، ولعلّ أقدمها فيما ترى "هيلاري كيلباترك"Hilary Kilpatrickسيرة الشاعر الأموي «نصيب» و قد اهتم بالحديث عن إتقانه للشعر و ما جرى عليه من حسد بعض الشعراء ، و سيرة إبراهيم الموصلي (188ه) بحيث ترى "هيلاري": أنها تقترب كثيراً من فن السّيرة الذّاتية ، و إلى جانب هذا الكتاب نجد كتاب آخر يروي بعض القطع من السيّر الذّاتية ، و هو كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأدباء» لابن أبي أصيبعة نجد أيضاً سيرة «حنين بن إسحاق» و سيرة «ابن الهيثم» التي كتبها سنة (417ه)[3].

[1] – ينظر: عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص 50.

[2] – ينظر: هماني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 38.

[3] – ينظر: نفسه ، ص 39.

وكانت هذه بعض السيّر التي إشتمل عليها كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ، و كانت تقترب كثيراً من فن السّيرة الذّاتية ، و هذا حسب رأي "هيلاري كليباترك H klipatrick" ، إلا أنّ الأصفهاني لم يكن الوحيد الذي ألّف هذا الكتاب وجمع فيه هذه السيّر ، فنجد أيضاً أبي أصيبعة في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأدباء» الذي حذا حذوه و جمع لنا عدّة سيّر أخرى كانت مجهولة ، فكانوا هؤلاء يقومون بتصوير أنفسهم ، و أخذوا من الكتابة منهجاً لهم للتبليغ و إيصال ما حصل لهم و ما شهدوه في حياتهم من رحلاتهم و غيرها.

ولعلَّ الجاحظ سنة (255-868ه) أكثر ما عُني في عصره بتصوير نفسه ، و ممن كانوا يعجبون به بأسلوبه أبو حيان التوحيدي (414-1023ه) إذ كان يعاني غربة أهل زمانه.
ونجد كتاب المقدسي «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» ما عناه في رحلاته ، و رحلتي بن جبير و بن بطّوطة ، فقد ساقوا رحلاتهم في شكل مذكرات يومية ، و من الذين ضمنوا مؤلفاتهم تجاربهم بن الحزم الأندلسي (454-1062ه) «طوق الحمامة في الألفة و الآلاف»[1].

ونجد أيضاً أنّ فن الترجمة عرف قديماً عند العرب أيضاً بحيث أخذ البعض يترجم لنفسه و من ضمنها نجد كتاب «المنقذ من الظلال» لأبي حامد الغزالي المتوفى سنة (505ه) و كتاب «الإعتبار» لأسامة بن منقذ المتوفى سنة (584ه) ، و بن الجوزي ترجم لنفسه في كتاب «لفتة الكبد» المتوفى سنة (597ه) و بن سعيد المغربي ترجم لنفسه كتاب «المغرب في حلي المغرب» و أبو حيان الأندلسي ترجم لنفسه و كتابه «النضار في مسلاة عن النضار» ، و العز بن جماعة ترجم لنفسه كتب «ضوء الشمس في أحوال النفس» و غيرهم ، كالثعالبي و ابن الجرزي و السّيوطي[2].

[1] – ينظر: عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص 53.

[2] – ينظر: مريم حماد الحسنات ، السيرة الذاتية في الأدب الإسلامي الحديث، قدم هذا البحث لإستكمال متطلبات نيل شهادة الماجستير في الأدب العربي ، الجامعة الإسلامية، عمادة الدراسات العليا، غزة- فلسطين،1434هـ، 2013، ص 25.

تبين لنا ممّا سبق و من خلال نماذج هؤلاء الكُتّاب و النوع الذي اختاروه من أجل التعريف بأنفسهم من ترجمة حياتهم و كتابة سيّرهم ، إلاّ أنّ تسمية هذا النوع تختلف من شخص لآخر مع أن لها نفس المغزى.

ومن خلال هذا يتضح لنا أن لفظتي «ترجمة» و «سيرة» يحملان معنى واحداً ألا و هو "تاريخ الحياة" قد اتخذ التأريخ للفرد صوراً مختلفة لدى العرب ، و كانت السيرة أولى هذه الصور ، و قد قصد بها حياة الرسول محمد صلى الله عليه و سلم و مغازيه ، و لكن هذا لم يمنع وجود سيّر أخرى كسيرة "معاوية " "بني أمية" لعوانة الكلبي المتوفى سنة (147ه).

السيّر التي سبق ذكرها لم تكن سيّراً مكتملة فنّياً ، إلاّ أنّها كانت سيّر تُصور لنا بعض الجوانب والمحطات التي عرفتها هذه الشّخصيات.

كما نلاحظ أن ما أُثر على العرب القدامى من كتب في فن السّيرة الذّاتية أنها ليست سيّراً ذاتيّة بالمعنى الحقيقي ، لأنّها لا تُصور إلاّ جانباً عقلياً و روحياً من تفكير هؤلاء الفلاسفة.

يُقسم إحسان عبّاس فن السّيرة إلى:

1-صنف يُكتب للتفسير والتعليل والاعتذار والتبرير:كسيرة إبن خلدون.

2-صنف إخباري محض :كحكايات الجّاحظ وأبي حيّان التوحيدي عن أنفسهم.

3-صنف يُصور الصراع الروحي:وهذا النّوع في كتاب الغزالي(المنقذ من الظلال).

4-صنف يقص المغامرات في الحياة وما يلاقيه المرء من تجارب:ككتاب الإعتبار لأسامة بن منقذ.[1]

ومع مرّ الزّمن تطور هذا الفن عبر العصور ، فبدأ ينضج ويأخذ شكلاً خاصاً به كجنس أدبي فكانت في بداياتها عبارة عن تراجم ويوميات ومذكرات ، لم تتضح ملامح هذا الفن إلاّ العصر الحديث.

أمّا بالنّسبة للعصر الحديث فنجد أنّ أوّل سيرة ذاتيّة هي "السّاق على السّاق فيما هو الفارياق" ، للشيخ "أحمد فارس الشّدياق" وفيها الحديث عن تنقلات الشّدياق وبعض أحواله ، ولكن هذا كله غارق في غمار الإستطرادات والمترادفات اللُّغويّة ، وهما من أبرز خصائص هذا الكتاب، ولكن غرامه

[1]-ينظر:ندى محمود الشيب ، فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين 1992-2002 ، ص21.

باللّغة العربية ، وانقياده لطبيعة المقامة وإسرافه للتّورية كل هذه تُفسد عليه الإسترسال ، وتعرقل المتْعة في السّرد.[1]

نجد من الكُتّاب الذين كتبوا سيّرهم الذّاتية بشكل كامل وبأسلوب جميل وراقي من كل جوانبها الفنّية سيرة "طه حسين" "الأيام" التي نموذجاً فنّياً كاملاً في كتابة السيرة الذّاتية ، وهذا ما أشار إليه إحسان عبّاس

حيث يرى إحسان عبّاس أنّ لسيرة "طه حسين" "الذّاتية الأيام "مكانة لا تتطاول إليها أي سيرة ذاتية أخرى في أدبنا العربي ، وخاصة في الجزء الأوّل منها لمزايا كثيرة منها:

الطّريقة البارعة في القصّ ، الأسلوب الجميل ، العاطفة الكامنة في ثناياه المستعلنة أحياناً حتى تطغى على السّطح ، وتلك اللّمسات الفنّية في رسم بعض الصُّور الكاملة للأشخاص.

وكتاب" الأيام"صورة واعية للصراع بين الإنسان وبيئته وكاتبه يعمد عمداً إلى تصوير ذلك الصِّراع.[2]

ومن السيّر الذّاتية التي عرفها العصر الحديث هي :

- سيرة "أحمد شوقي "المتوفى سنة(1351ه)ترجم لنفسه باسم "مذكرات".
- سيرة "الطّهطاوي " المتوفى سنة(1355ه) ترجم لنفسه في كتابه "الثغر الباسم".
- سيرة "أحمد أمين "المتوفى سنة(1954ه) ترجم لنفسه في كتابه "حياتي".
- سيرة "خليل السكاكيني "المتوفى سنة(1372ه) ترجم لنفسه في كتابه "كذا أنا يا دنيا".
- سيرة" عبّاس العقّاد "المتوفى سنة(1383ه)والذي ترجم لنفسه في كتابه "أنا".[3]

ثالثا/_أنواع السّيرة:

تعد السيرة فنا من الفنون الأدبية ، من خلالها نستطيع الإطلاع و التعرف على الشخصيات التي مرت على مدى العصور ، وتختلف سيرة هذه الشخصيات حسب وجهة و ميول كاتبها ، فمنها الشّخصيات الأدبية – الفنّية – الثّورية – السّياسية ... ، حيث تعُرفنا هذه السّيرة على أهم محطات الحياة الشخصية و حتى العملية والعلمية للذّات موضوع السّيرة ، فنجد العديد منهم من يكتب سيرة

[1]-ينظر:إحسان عبّاس ، فن السيرة ، ص130.

[2]-ينظر:المرجع السابق، ص131.

[3]-ينظر:مريم حماد عليان الحسنات ، السيرة الذاتية في الأدب الإسلامي الحديث ، ص26.

حياته منهم من يكتب سيرة غيْره أو ما تسمى بالسّيرة الغيْرية ، كما أنها تتوفر على عدة شروط أهمها:(الصدق والأمانة والدِّراية وحسن الإطلاع).

1/-السّيرة الذّاتية:

يصعب الوصول إلى حد جامع مانع للسّيرة الذاتية ، و السبب لا يكمن في حداثة نشأتها ، لأنها ليست حديثة النشأة كما يرى "جورج ماي"Georges May ، إنما يكمن في مرونة هذا الجنس الأدبي ضعف الحدود الفاصلة بينها و بين الأجناس الأدبية الأخرى.

هناك من الباحثين من يعرفها على أنها نوع خاص من السّيرة ، يسرد فيها المؤلف حياته بقلمه و مثال ذلك ما ورد في المرسومة البريطانية "السّيرة الذّاتية نوع خاص من السِّيَّر"[1].

يعُرفها "فيليب لوجون" philippe Lejeune قائلا: هي حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي معبرا عن وجوده الخاص و ذلك عندما يركز على حياته الفردية و على تاريخ شخصيته بصفة خاصة.

ومن الباحثين العرب الذين عرّفوا السّيرة الذّاتية: "محمد عبد الغني حسن" ، إذ يقول: التراجم الذّاتية أو الشخصية هي أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه ، فسيجل حوادثه و أخباره و يسرد أعماله و آثاره أمّا "عبد العزيز شرف" فيعرفها بقوله: السّيرة الذّاتية تعني حرفياً ترجمة حياة إنسان كما يراها[2].

وتعزيزاً لأدبية هذا الفن وصف "يحي عبد الدّايم "السّيرة الذّاتية بأنها: ترجمة فنيّة يصوغها صاحبها في أسلوب أدبي قادر أن ينقل إلينا محتوى وافياً كاملاً عن تاريخه الشّخصي على نحو موجز حافل بالتجارب و الخبرات المنوعة الخصبة ، و هو الأسلوب الذي يقوم على جمال العرض و حسن التقسيم وعذُوبة العبارة وحلاوة النص و بث الحياة و الحركة في تصوير الوقائع و الشّخصيات بما يمثله من حوار ، مستعيناً بعناصر ضئيلة من الخيال لربط أجزاء عمله حتى تبدو ترجمة ذاتية متكاملة"[3].

---

[1]- ينظر: تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 10.

[2]- ينظر: نفسه ، ص 11.

[3]- راوية سمير عاشور ، الذاتية الشعرية و النثرية تجربة راشد عيسى أنموذجاً ، ص10.

وفي أدبنا العربي الحديث عُرفت السّيرة بوصفها جنساً أدبياً مستحدثاً ، و كانت تجربة طه حسين فاتحة له إذ لا ريب في أن اطلاعه على الثقافات الغربية و تعرفه على هذا الفن الجديد عن كثب دفعه إلى التأثر به و كتابة "الأيام" التي وجدت صدى في نفوس غيره من الأدباء و الكتاب العرب فكتبوا على شاكلتها مثل "رحلة جبلية رحلة صعبة" لفدوى الطوقان ، و "البئر الأولى" لجبرا إبراهيم جبرا ، "غربة الراعي" لإحسّان عبّاس و "أنا" لعباس العقاد ، و "سبعون" لمخائيل نعيمة[1].

2/_السّيرة الغيرية:

يُراد بها الجنس الأدبي الذي يكتبه بعض الأفراد عن غيرهم من الناس ، سواء أكانوا من الأعلام الذين عاشوا في الزمن الماضي أو في الزمن الحاضر ، و قد أخذها عبد اللطيف الحديدي في كتابه "فن السّيرة " حيث عرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير ، فسرد في صفحاته حياة صاحب السّيرة أو الترجمة و فصل في المنجزات التي حققها ، و أدت إلى ذيوع شهرته[2].

والسّيرة الغيّرية أقدم زمناً من السّيرة الذّاتية ، لأنها برزت منذ التأريخ للأدب ، فمنذ وجود الحضارات جعل الرجال يؤلفون فيها مثل الذين كانوا يتكسبون في بلاط الحكام و السّلاطين ، فكانوا يكتبون ما كان يجري في زمنهم من تطور و نشوء ، فكتبوا عن الملوك و السّلاطين ، و الحروب والمحاربين ، وإن معظم هذه الأعمال كانت تندرج تحت مفهوم السّيرة الغيّرية[3].

وتعد كتب التراجم العامة من الأمثلة المبكرة على السّيرة الغيّرية ، و كذلك المؤلفات في السيّر النّبوية وسيّر أولي الأمر من ملوك و حكام و غيرهم ، لأن السّيرة الغيّرية هي حياة متكاملة للمترجم له ، على كاتبها أن يتصف بالموضوعية و يستند على الأدلة و المشاهدات و الوثائق و المذكرات و المقابلات التي جرت في حياة من يترجم له[4].

---

[1]- ينظر:المرجع السابق ، ص 12.

[2]- ينظر: عبد المجيد البغدادي ، فن السيرة الذاتية و أنواعها في الأدب العربي ، ص 191.

[3]- ينظر: نفسه ، ص 192.

[4]- ينظر:راوية سمير عاشور ، الذاتية الشعرية و النثرية تجربة راشد عيسى أنموذجاً ، ص 09.

إلاّ أنّ كاتب السّيرة الغيّرية في كثير من الأحيان لا يمكنه أن يصف أحاسيس الشّخصية و انفعالاتها بعكس كاتب السّيرة الذّاتية فهو أكثر مقدرة على سبر أغوار ذاته و كشف ما يجول بها ، فهو يقف موقف الشاهد و القاضي ، و بهذا يمكننا القول أن كاتب السّيرة الذّاتية يقدم الشخصية من الدّاخل إلى الخارج ، بينما كاتب السّيرة الغيّرية يقدم الشّخصية من الخارج إلى الداخل ، حيث نجد هناك تطابقا بين السارد و الشخصية الرئيسية و المبدع في السيرة الذاتية ، و لكن السيرة الغيرية لا يمكن فيها تطابق المبدع مع الشخصية[1].

فالسّيرة الغيّرية هي بحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذّ ، و كشف عن مواهبه و أسرار عبقريته من خلال ظروف حياته التي عاشها ، و الأحداث التي واجهها في محيطه و الأثر الذي خلفه في جيله.

فعلى كاتب السّيرة الغيّرية أن يكون موضوعياً ، يلمح بسرعة و يفهم بإحكام ، و يلم الحقائق ويحكم عليها و يمزجها مزجاً معتدلاً منسجماً ، و يصبغها بأسلوبه ، فمقياس نجاح كاتب من هذا النوع من السيّر هو بمقدار تجرّده و غيريته[2].

وهذه الأمثلة عن كتب السّيرة الغيرية القديمة و الحديثة:

أ* القديمة:

1- سيرة الإمام أحمد بن حنبل "لإبن الجوزي".

2- الدر الثمين في سيرة نور الدين "لإبن شهيد الدمشقي".

3- النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين الأيوبي "لإبن شداد".

ب* الحديثة:

1-أخي إبراهيم "فدوى طوقان".

2-جبران خليل جبران "ميخائيل نعيمة".

3-حياة محمد "محمد حسين هيكل"[3].

ثالثًا/- السيرة الذاتية و الألوان القريبة منها:

---

[1]- سيد إبراهيم أرمن ، السيرة الذاتية و ملامحها في الأدب العربي المعاصر ، فصلية دراسات الأدب المعاصر ، العدد الحادي عشر ، السنة الثالثة ، ص 17.

[2]- عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص 03.

[3]-أحمد صلاح خطاب،ما المقصود بالسيرة و ما مفهومها ،تاريخ الإطلاع 2018/05/02/ pmfolkarts.ahlamontada.net.10:25.

السّيرة الذّاتيّة لم تتخذ شكلا واحدا ، بل تعددت أشكالها وأصبحت لها ألوان فنيّة قريبة منها يتخذها الكاتب كوسيلة للتعبير عن أحواله وإبداء آرائه حياته الشخّصية ، فمن الأشكال التي تعد نوع من أنواع السيرة نجد:(اليوميات ، المذكرات ، الاعترافات ، والرواية) ، فهذه الألوان كلها قريبة منها. إلا أننا يجب أن نميز السّيرة الذّاتية كشكل أدبي عن تلك الضروب الخاصة بالكشف عن الذّات المرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً ، و نذكر منها:

أ/– اليوميات:

ترد الأحداث فيها متقطعة ، و هي تفتقر بذلك إلى المنظور الاسّتعادي في القصّ ، و تعتمد في أسلوبها على لغة مكثفة و طريقة مركزة يخضع فيها عرض الأحداث و يتقيّد كتابياً بالظروف الزمكانية و النّفسية و الإجتماعية لكيفية اليوم الذي تسجل فيه كل يومية ، فاليوميات تهتم بالتفاصيل و يغلب عليها الحسّ التاريخي ، و تقدم الأحداث فيها مجزأة و لا تخضع لقواعد إبداعية مستقلّة ، و هي لا تعتمد على آليات السّرد الاسترجاعي كما هو الحال في السّيرة الذّاتية ، كما تترك الحرية للفرد كي يعبر عن أحداث يومه[1].

"و قد تدخل السّيرة الذّاتية حقل « اليوميات » إذا افتقدت للمنظور الاسّتعادي ، لأن اليوميات ليست استعادية ، حيث إن الحوادث التي تسردها تكون معاصرة لعملية تسجيلها ، و السرد فيها متزامن أكثر منه غير مترابط زمنياً ، إلا أن اليوميات قد تصور مرحلة بعينها في تاريخ الشّخصية و هذا هو السبب في أنّ شذرات من اليوميات توجد دائماً متضمنة في نص السّيرة الذّاتية ، كما في سيرة «أحمد أمين: حياتي 1950» و سيرة «فدوى الطوقان: رحلة جبلية .. رحلة صعبة 1958» و تتخذ السّيرة الذاتية شكل يوميات عندما يكسبها الكاتب استقلالية معنوية"[2].

ب/– المذكرات:

و تختلف عن السّيرة الذّاتية لأنّ مادّتها أوسع مدى منها ، إذ ترتكز المذكرات على سرد الأحداث العامة و التاريخية دون التعليق على الحياة الشخصية لكاتب المذكرات ، فهي سرد كتابي لأحداث جرت

[1]– ينظر: ناصر بركة ، أدبية السيرة الذاتية في العصر الحديث ، ص 29.

[2]–جولان حسين جودي ، أ.م ، د عدنان حسن العوادي ، السيرة الذاتية الروائية: التنافذ الأجناسي و إشكالية التصنيف ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، المجلد الثالث عشر ، العدد 2010/1 ، ص 73.

خلال حياة المؤلف ، و كان له دور فيها ، و تختلف عن السيّرة الذّاتية أيضا في أنها تخص العصر و شؤونه بعناية كبرى ، فتشير إلى جميع الأحداث التاريخية التي اشترك فيها المؤلف أو شهدها أو سمع عنها من معاصر له و أثرت على مجرى حياته[1]. و من هنا نجد المذكرات تهتم بالحياة العامة من خلال الحياة الخاصة للكاتب ، في حين أن السّيرة الذّاتية تعني ترجمة حياة إنسان كما يراها هو و هناك فرق آخر بين المذكرات و السّيرة الذّاتية يكمن في أن السيرة تعتمد على الذّاكرة لتستعين بها على تسجيل ما مر بها ، و قد تكون المذكرات جزءً مهماً يعين كاتب السّيرة على تذكر ماضيه ، أما المذكرات فهي تعتمد على الوقائع التاريخية و لا دخل للذّاكرة فيها[2].

"فالمذكرات هي عبارة عن حكي إسترجاعي ينقل تجارب الماضي المعاشة إلى الناشئة ، و تعتمد نظرة توليفية للأحداث تسمح بإعادة ترتيب الوقائع مما يوافق رغبة الكاتب (الرغبة في تعويض النقص أو الانتقام أو طمس الحقيقة ...) ، و في المذكرات يكون الراوي أكثر حرية لسرد مرويات معينة و إغفال أخرى على النحو الذي يطابق غايتها الموجودة"[3].

ج/– الاعترافات:

سرد نثري إستّعادي يندفع فيه الراوي الذاتي إلى منطقة مثيرة و حساسة و خطيرة في السيرة الذاتية يروي فيها شخصيته و أخطاءه و خطاياه بأسلوب إعترافي صريح ، و يستخدم السرد الاعترافي التقنيات الطرائف التي يستخدمها سرد السّير الذّاتي ، غير أنه يتداخل على نحو أعمق في طبقات الشّخصية الجوانية ، و لا سيما طبقات المسكوت عنه ، مظهراً إياه على السطح النصّي ، كما يتطابق مع السرد السيّر ذاتي في آلية التطابق بين الراوي و المؤلف و الشخصية[4].

---

[1]– ينظر: عبد المجيد البغدادي ، فن السيرة الذاتية و أنواعها في الأدب العربي ، ص 200.

[2]– ينظر: ندى محمود مصطفى الشيب ، فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين 1992 – 2002 ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس فلسطين ، 2006 ، ص 12.

[3]– كريمة غيتري ، جمالية الرواية السيرية رواية السمك لا يبالي لإنعام بيوض أنموذجاً ، مذكرة معدّة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، 2012-2013 ، ص 37.

[4]– ينظر: نفسه ، ص 37.

"و نجد أن هذا النوع قد كثر في القرن الثامن عشر و ما يليه في أوروبا ، فقد كانت الإعترافات الدينية في العصور الوسطى ، تعنى عناية شديدة بتصوير تجربة الكشف الصوفي ، و هي تجربة تشبه تجربة الإلهام لدى الفنان ، ولعل أبرز مثال على ذلك «إعترافات القديس أوغسطينAygustin» التي تعد قمة الإعترافات الدينية ، يقول الدكتور يحي عبد الدايم في كتابه الترجمة الذّاتية في الأدب الحديث: الصوفي ينقل لنا تجربة ذاتية تتصل بعالم غير مألوف لنا.تكون في لحظات فورية فجائية ، يخرج فيها عن شعوره الواعي محلقاً بعيداً عن عالمنا الأرضي إلى عالم سماوي ، ثم لا يلبث وعيه أن يرتد إليه فيصور ما شاهده في تجربته الكشفية تصويراً صادقاً "[1].

وفي الأدب العربي أشباه في كلام المتصوفة ككتاب النصائح الدينية للمحاسبي و «المنقذ من الظلال» للغزالي ، كلها تتسم بالإعترافات التي هي أقرب إلى السيرة الذّاتية في مواصفاتها و أسلوب كتابته.

د/-السيرة الذّاتية والرواية:

"الرواية من فنون الأدب غايته سرد حادثة أو معالجة فكرة اجتماعية بأسلوب يقوم على السرد ، أي حكاية الوقائع على النسق التاريخي في نوع من التشويق ، و أكثر الأعمال الأدبية تدل على ذاتية كاتبها ، كما أن هذه الذّاتية تختفي وراء الشخصية الروائية ، بيد أنها ليست كل قصة صورت حياة صاحبها تعد ترجمة ذاتية له"[2].

"يقول جورج ماي G.May: ما يميز موقفنا عند قراءة سيرة ذاتية عن موقفنا عند قراءة الرِّواية ، ليس كون الأولى حقيقية و الثّانية خياليّة ، و إنّما كوْن الأُولى تظهر لنا في لبوس الحقيقة و الثّانية في لبوس الخيال.

ومن الذين ترجموا لأنفسهم في قالب روائي و قصصي: جوس إدموند في كتابه: «الوالد و الوالد» و كتب عن نفسه في كل جزء من أجزاء الرِّواية ، رغم أنّه لم يغفل عن عناصر الفن التي تجلب المتُعة للقارئ"[3].

ومن خلال ما سبق يمكننا أن نلخص نقاط الإختلاف بين السِّيرة و الرِّواية فيما يلي:

---

[1]- ندى محمود مصطفى الشيب ، فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني ، 13-14.

2- عبد المجيد البغدادي ، فن السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص202.

3- نفسه ، ص 202.

ـالرِّواية ثُلاثية (كاتب و راوٍ و بطل) بينما السِّيرة أحادية تختزل الثّلاثة في واحد.

ـالرِّواية تستوعب الفنون والعلوم في قالب واحد يصوغها الروائي بالخيال ممزوج بالحقائق بينما الحقائق مكشوفة و مجردة في السِّيرة.

ـالزمن في الرِّواية متصاعد باتجاه قمة الحدث (العقدة) بينما الزمن في السِّير مستمر.

ـالحدث في الرِّواية عام قابل لتوليد أحداث مرادفة مساعدة للحدث الرئيسي ، بينما في السِّيرة خاص بصاحبه[1].

سنقوم بدراسة السّيرة الذّاتية و صلتها بالتاريخ ، و نتعرف على مدى قوة هذه الصلة و أهميتها نتعرف على السيّر المؤرخة تاريخياً.

1

[1]- ينظر:سلطان سعدا لقحطاني ، بين الرواية و السيرة الذاتية ، جريدة الشرق الأوسط ،تاريخ الإطلاع: 2018/05/04 - archve.aawasat.com. 13:15

تمهيد :

يعد العقّاد من عمالقة الأدب العربي وهذا لغزارة إنتاجه وقوة نقده ، فقد كانت له من المؤلفات ما يقارب المائة كتاب في مختلف المجالات والميادين ، إلاّ أنّه اشتهر "بالعبقريات" .

عُرف العقّاد وذاع صيته واحتل مكانة مرموقة في عصره ، وأصبح شخصية بارزة يُحتذى بها من بين أبناء جيله ، فقد لقي استحسان وعرفان كل من عاصروه وعرفوه على مجهوداته في سبيل النهوض بالأدب العربي والتعريف به مثله مثل الآداب الأُخرى ، فالعقّاد لم يُعرف في عصره فحسب بل هو شخصية لامعة قد بقيّت خالدة عند كل الأجيال التي أتت بعده ، وهذا راجع لأعماله ومؤلفاته.

فأصبحنا نعرف العقّاد ، ونعرف حتى حياته الشّخصية ، ويعود هذا لما كتبه في سيّره الذّاتية ، فقد خلّد كتابين ترجم فيهما لسيرته الذّاتية فالأول عنونه ب: "أنا" حيث خصّه لحياته الشّخصية فقط ، وأما الثاني فهو كتابه "حياة قلم" الذي تناول فيه الجانب السّياسي و الاجتماعي ، كما نجد أيضًا رواية "سارة" والتي تُعدُّ الرواية الأولى والأخيرة للعقّاد ، وهي عبارة عن قصّة حُب فاشلة عاشها العقّاد وتركت أثراً في نفسه.

كانت هذه لمحة عن العقّاد سنقوم بالتّعريف به أكثر فيما يأتي:

أ/-حياته ونشأته:

وُلد في أسوان بصعيد مصر يوم الجمعة الموافق ل29 شوال1306ه/28يونيو1889 ، نشأ في أسرة كريمة ، وتلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة أسوان الأميرية وحصل على شهادة الابتدائية(1321ه-1903ه) و في أثناء دراسته كان يتردد مع أبيه على مجلس الشّيخ أحمد الجداوي وهو من علماء الأزهر الذين لزموا جمال الدّين الأفغاني وكان مجلسُه مجلس علم ، و لم يُكمل العقّاد تعليمهُ بعد حصوله على الشّهادة الابتدائية بل عمل موظفاً في الحكومة ، ثُمّ انتقل إلى الزقازيق (1325ه-1907م) ، وعمل في القسم المالي بالمديرية الشّرقية ، وبعد وفاة والده استقرّ بها.[1]

لم يتلق العقّاد أي تعليم في حياته سوى المرحلة الابتدائية ، وذلك لعدم وجود المدارس في مدينته بالإضافة إلى عدم قدرة ذويه على إرساله للقاهرة للإكمال تعليمه ، إلاّ أنّه اعتمد على ذكائه وفطنته الحادّة والصبر على التّعلم ، فأصبح من الأشّخاص الذين يمتلكون ثقافة واسعة و لم تقتصر ثقافته على

1-ينظر:أحمد تمّام ، العقّاد...رحلة قلم في ذكرى وفاته ، تاريخ الإطلاع: 2018/05/17 _ 14:20
https: //archive.islamonline.net.

علوم اللُّغة العربية ، بل تعدّت إلى العلوم الغربية المختلفة وأهمها اللغة الإنجليزية ، إلاّ أنّ الظُّروف لم تقف عائقاً أمامه بل بقيّ مستمراً في إنتاج أعماله.[1]

هذا هو العقّاد وهكذا كانت نشأته ، تحدى كلّ الظُّروف فلم تكن سداً مانعاً أمام طموحاته وآماله بل زادتهُ قوة وشجاعة ، حتى أخذ لنفسه مكانة وخلدّ اسمه ، وهذا لما له من أعمال ومؤلفات تُحتسب له ومن أهم أعماله ومؤلفاته:

ب/_**أعماله:**

أسّس بالتعاون مع" إبراهيم المازني" و"عبد الرحمان شكري" {مدرسة الديوان} ، وكانت هذه المدرسة من أنصار التّجديد في الشعر والخروج عن القالب التقليدي العتيق ، وهب العقّاد حياته للأدب كان العقّاد مغواراً خاض العديد من المعارك ، ففي الأدب إصطدم بكبار الشُعراء والأُدباء ، ودارت معركة حامية بينه وبين أمير الشُعراء "أحمد شوقي" في كتابه {الديوان في النقد والأدب} فلم يتزوج عاش قصّة حب وخلّدها في روايته "سارة".[2]

وكانت للعقّاد معارك فكرية مع "طه حسين" حول فلسفة أبي العلاء المعرّي ورجعته ، ومع الشّاعر "جميل صدقي الزهاوي" في قضية الشاعر بين الملكة الفلسفية العلمية والملكة الشّعرية ، ومع "محمود أمين العالم و عبد العظّيم أنيس" في قضية وحدة القصيدة العُضوية ووحدتها الموضوعية ومعارك أخرى جُمعت في كتاب " معارك العقّاد الأدبية" ، وللعقّاد إسْهامات في اللُّغة العربية كالكتاب الفريد من نوعه اللّغة الشّاعرة.[3]

وإلى جانب كل هذه الأعمال و الإسهامات التي جاء بها العقّاد و معاركه ، الفكرية ومحاولاته من أجل خدمة الأدب العربي وكذا اللُّغة العربيّة ، وهذا في سبيل الرُّقيّ بلُّغتنا وكذا التّعريف بأدبنا وحجز له مكانة من بين الآداب الأخرى ، كما يُعدّ من أهم رُواد المنّهج النّفسي حيث اعتمده في الكثير من دراساته للّسيرة الغيّرية من حيث التحليل واستخراج الصّفات النّفسية للشّخصيّات.

1- ينظر: شيرين طقاطقة ، عبّاس محمود العقّاد ، تاريخ الإطلاع: 2018/05/18 – 17:40 .mawdoo3.com

2-ينظر لي حضوري ، تقرير عبّاس العقّاد ، تاريخ الإطلاع: 2018/05/19 _ 20 :40 www.alfaseh. com

3-ينظر:نفسه.

إستعان العقّاد بالإتجاه النّفسي في تفسير الأدب ، فقد كان ارتكازُه على الجوانب النّفسية واضحاً في كتابيه "ابن الرومي" و"أبي نوّاس" إذْ حاول أن يتعرف على شخصية هذين الشّاعرين من خلال الشّخصية الباطنية عند كل منهما ، فهو يكّشف عن نفسيّة ابن الرومي من شعره ، ويرتكز في تحليله لشخصية أبي نوّاس على النّرجسية ، ويبدو أنه كان من المتحمسين للإتجاه النّفسي في تحديد أبعاد الشّخصية التي يتحدّث عنها ، وخاصية في عبقرياته المشّهور ، وارتكز في منهجه النّفسي على العقدْ و أثر البيئة والسُّلوك.[1]

كما اهتَّم أيضاً بالأزمات النّفسية والاجتماعية و التاريخية التي تؤثِّر في خلق عملية الإبداع الفنّي ، مما جعله بحق ناقداً نفسياً مهد الطّريق أمام من جاء بعده من النُّقاد النّفسانيين ، على أن اهتمامات العقّاد اللُّغوية طغت على اهتماماته النّفسية في كثير من اتجاهاته النّقدية ، ممّا يدفعنا إلى الاعتقاد بأنّه ناقد تأثر بأكثر من منهج نفْساني ، فلم يستطع في أغلب الأحيان أن يتحرّر من أحكامه التأثيرية النّابعة من حسن الصّياغة ، وجودة الوصّف ، سلامة الأداء.[2]

ج/-مؤلفاته:

وضع عبّاس محمود العقّاد العديد من المؤلفات التي لا زالت تلقى إقبالاً شديداً من قبل الشغوفين بدمج الأدب مع الفكر ، وقد اشتهر العقّاد بسلسلة من المؤلفات عُرفت "بالعبقريات" ، تناول فيها تحليلا لحياة ومواقف عدد من أعلام الأمة الإسلامية.[3]

فألف ما يقارب المائة كتاب ، وسنذكر الآن البعض من هذه المؤلفات:

-العبقريات ، الله ، يسألونك ، مطلع النور ، حياة قلم ، هذه الشجرة ، إبليس ، الحسين أبو الشهداء الفلسفة القرآنية ، ما يقال عن الإسلام ، المرأة في القرآن ، الإنسان في القرآن ، جحا الضاحك المضحك عقائد المفكرين ، فاطمة الزهراء والفاطميون ، ابن الرُّومي حياته من شعره ، مُعاوية ابن أبي سفيان في الميزان ساعات بين الكتب.

---

[1] -ينظر: المرجع السابق.

2-ينظر ، نفسه.

3-ينظر:محمد مروان ، من هو عباس محمود العقاد ، تاريخ الإطلاع: 2018/05/20 _ 16:55، mawdoo3.com

وبعد هذا العرض الوجيز عن حياته ونشأته و أعماله وأهم مؤلفاته ، سنقوم الآن بدراسة وتحليل صفاته النّفسية ، وأهم الميزات التي اجتمعت فيه وساهمت في بناء شخصيته ، وهذا من خلال ما جاء به كتابه "أنا" الذي يتناول فيه جانب من جوانب حياته وسيرته الذّاتية.

د/-دراسة سيرته الذّاتية:

نجد أنّ العقّاد قد استهلّ حديثه عن سيرته الذّاتية في كتابه "أنا" حيث تناول فيه كل ما يخص حياته الشّخصية ، فكان يخصّ كل مقال بمرحلة من مراحل حياته الشّخصية ، وهذا مِن خلال دراستي لكتابه "أنا" ، كما وجدته يُعرف نفسه فيقول:

لن أتحدّث عن" العقّاد" كما خلقه الله ، فالله جلّ جلاله هو الأوْلى بأن يسأل عن ذلك ، ولن أتحدّث عن "عبّاس العقّاد" كما يراه النّاس ، فالنّاس هم المسؤلون عن ذلك ، ولكن سأتحدث عن "عبّاس العقّاد" كما أراه ، وعبّاس كما أراه باختصار هو شيء آخر مختلف كل الإختلاف عن الشّخص الذي يراه الكثيرون من الأصدقاء و الأعداء ... ، هو شخص أستغرب كل الإستغراب حين أسمعهم يصفونه أو يتحدثون عنه ، حتى يخطر لي في أكثر الأحيان أنهم يتحدثون عن إنسان لم أعرفه قطّ ، و لم ألتق به مرة في مكان.[1]

هذا ما قاله العقّاد عن نفسه ، موضحاً ومفسراً شخصيته الحقيقية وتصحيح صورته التي يجهلها الكثيرون ، فمن هنا تبدأ رحلة العقّاد في التّعريف بنفسه وصفاته.

يُعرفنا العقّاد عن جُملة من الصّفات النّفسية التي اجتمعت فيه فكوّنت صورة نفسيّة مخالفة لتلك الصّورة التي كوّنها له النّاس ، فكان يحمل صفات متناقضة لسلوكه المعهود ، ومن تلك الصِّفات المصطنعة(الكبرياء ، القسْوة ، الصّرامة ، والعزوف عن الحياة بالعيش بين الكتب ، وغلبة المنْطق و التفكير وقلّة العطّف.)وهذه الصِّفات وغيرها جعلته أشبه بالصنم لا يحس ولا يشعر[2].

1-ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، أنا ، الإدارة العامة للنشر والتوزيع ، المهندسين ، الجيزة ، ط3 ، أغسطس2003 ، ص15.

2-ينظر زين الدين مختاري ، الإتجاه النفسي في فن السيرة عند عباس العقاد ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة ،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، 1997-1998، ص329.

إلاّ أنّه كان على عكس ذلك "فكان يباشر الحياة ويُحبها على الرغم من متاعبها وأذاها وعلى الرغم ممّا عاناه فيها من أ مراض وشدائد ، لأنّه كان يحب المعرفة ويُغرم بها ويُحب أن يصل إليها ، وتصل إليه ولو تحت التُراب ، فقال:

لم يتغيّر حُبي للحياة ، و لم تنقص رغبتي في طيباتها ، ولكنّني اكتسبت صبراً على ترك ما لابُدّ من تركه وعلماً بما يُفيد من السّعي في تحصيل المطالب وما لا يُفيد وزادت حماستي الآن لما أعتقد من الآراء ونقُصت وحدتي في المخاصمة عليها".[1]

"أمّا فلسفتي في الحياة فأهم جانب من جوانبها هو ما استفدته من الطبع الموروث ، وجاءته بعض الزِّيادات والتجارب والقراءة ، وأعني به قلّة الاكتراث للمقتنيات المادية ، فأعجبْ شيء عندي هو تهالك النّاس على اقتناء القصور وجمع الذّخائر والأموال ، و لم أشعر قط بتعظيم إنسان لأنه صاحب مال ، و لم أشعر قط بصغرى إلى جانب كبير من كبراء الجّاه والثّراء بل شعرت كثيراً بصغرهم ، و لو كانوا من أصحاب الفتوحات".[2]

هكذا وصف العقّاد نفسه وحُبه للحياة ، بغض النّظر عن المتاعب والمعاناة التي واجهته ، كانت للعقّاد شخصية قويّة ، استمدّ قوّة شخصيته من الجانب الوراثي والذي كان له دور في بناء شخصيته فهذه هي النّواة الأولى ، بالإضافة إلى تجارب الحياة ، فهذه هي العوامل التي ساعدت العقّاد في منحه شخصية صلبة.

وقد كان العقّاد يميل إلى العُزلة و الإنفراد ، بل كان يميل إلى الانطواء وربّما ظنّ البعض أنّ هذا الانطواء يرجع إلى عُقد نفسيّة ، فيقول العقّاد:

أعترف أنّني مطبوع على الانطواء ، ولكنّني خال من العقدّ النّفسية الشّائعة بين الكثيرين من أنّدادي في السِّن ، لقد ورثتُ طبيعة الانّطواء من أبي وأُمي ، لا أملّ الوِحدة ولو طالت ، ولا أزال أقضي الأيّام في بيْتي على حدة حيثُ يتعذّر على الآخرين قضاء السّاعات بل لحظات ، ولكنّني أشغل وحدتي بالقراءة والكتابة وإن كانت عُزلتي عن الحفلات والجماعات ، فلسْت في عُزلة عن الأصدقاء.[3]

1- عباس محمود العقاد ، أنا ، ص06.

2-نفسه ، ص08.

3-ينظر:نفسه ، ص09.

غلبت على العقّاد صفات حميدة زادت من أعدائه ومحبيه على السّواء فالصّفة الحميدة التي تجذب محبة النّاس وإعجابهم وتقديرهم تسببُ حسد الحاسدين ، وكيد الحاقدين أيضاً وهذا معروف شائع في بلاد الشّرق المتخلّف ، وقد مثّل العقّاد ذلك في أبيات قليلة:

إنّ الشّقي الذي صنو يشبهه ... وللأصاغر أشباه وأمثـــال

من شابه النّاس سرته مودّتهم ... وعلا عنهم ساءت به الحـــال

فهنأ بمجدك ، إذ تشقى بعُزلته ... وليحفظ بالصفو أوغاد وجهـــال

إنّ السّعادة تحت الأرض معدنها ... لا يطلب السّعد من آوته أجيـــال.[1]

وقد يعجب القارئ أنّ هذا الكاتب الجبّار الذي قارع مختلف المذاهب السّياسية والفكرية ، وقاوم الزُّعماء وخاصم الملوك ، كان على درجة كبيرة من الرِّقة والشّفافية يروي ذلك كل من عرفوه ، ومن ذلك ما رواه بنفسه عن علاقته بوالدته وصديقه المازني: لما تُوفيت أُمي رحمة الله عليها لم أدخل غُرفتها حتى الآن كي لا أراها فارغة منها ، حتى الشّوارع التي كُنتُ أغشاها مع صديقي المازني ، لم أستطع أن أغشاها بعد مماته وصرتُ أجتنبُ ما يُذكّرني بفجيعتي حتى لا أحزن من جديد.[2]

هذا هو العقّاد وهذه هي شخّصيته ، كما له أصدقاء ومحبين ، فله أيضًا أعداء يحسدونه على نجاحاته وعلى ما وصل إليه ، إلاّ أنّه لم يكترث لهم وواصل مسيرته الحافلة بالنجاحات ، فبالرغم من شخصية العقّاد القويّة ، إلاّ أنّه كان رقيق المشاعر و الأحاسيس ، وهذا بشهادة كل من عرفوه ، ويبدو هذا واضحاً عندما فقد أمه وصديقه المازني.

1-ينظر:نواف نصار ، دراسة تحليلية في سيرة عباس محمود العقاد ، دار المعتز للنشر والتوزيع ، عمان-الأردن ، ط1 ، 2013-2014 ، ص193.

2-ينظر:نفسه ، ص196.

كان شديد التّعلق بأُمه وهذا كان أحد الأسْباب التي زهدته عن الزّواج ، إلى جانب فشله في علاقته الغرامية بفتيات عدّة خاصة "سارة" التي كان يرى فيها المثل الأعلى في كرم الأخلاق ، ونبل الصِفات ، وقوّة الإيمان ، وكمال التدّبير، وكانت للعقّاد صفة يعتز بها و تميزه هبة باطنية لا يخطئها حديث قلبه وهي "الحاسة السّادسة "ولا يمكننا أن نناقش صحّة هذه الحاسة ، فالنّفس الإنسانية لغز عجيب فليس من الغريب أن يتميز بهذه الحاسة.[1]

لم يوصف العقّاد بالكبرياء إلاّ أنّه كان يحفظ كرامة الأدب والأديب ، وكان يطلب الكرامة عن طريق الأدب والثّقافة ، وكان يعتبر الأدب والثّقافة رسالة مُقدّسة يحق لصاحبها أن يُصان شرفه بين أعلى طبقات الاجتماعية ، بل أرفع المقامات الإنسانية بغير استثناء.

وكان يرى في هذا فضل جديد في عالم الأدب في الشّرق المسكين الذي كان أُدباؤه لا يرتفعون عن مترلة المضحكين والندماء المهرجين على موائد الأغنياء والرؤساء.[2]

هذه كانت بعض الصِّفات التي عرفنا عليها صاحبها ، فكانت عبارة عن توضيح ورسم صورته الحقيقية ووصف شخصيته التي أخطأ الكثيرون في حقّها ، وهذا من خلال وصفه بصفات مخالفة عن صفاته الحقيقية ، كما له مزايا وصفات أخرى هي:

أنّه لا يميل إلى التوسط في الصّداقة ولا في العداوة ، ولا يعرف إنسانًا نصفه صديق ونصفه عدو وإنّما يعرفه صديقًا مائة بالمائة ، ولا تهمه مع ذلك عداوته إذ حفظها لنفسه ، ويُضيف أنّه ضعيفً أمام الأُلفة والعداوة ، ولا يُقدم على التبديل إلاّ بعد عناء طويل ، وكان ضعيفًا أمام عاداته وتقاليده لا يقْوى على تغييرها لأنّها لازمته طويلاً حتى أصبّحت جُزءًا من حياته ، وهذه الصِّفة النّفسية دليل على وفائه وحبِّه وحسِّه المرهف بالأشياء المحيطة به.[3]

هذه الصِّفات اجتمعت في العقّاد فمنها ما هو موروث ، ومنها ما هو مُكتسب ، فهذه الصِّفات كوّنت له شخصية ذات طبع خاص ، واجه بها أصدقاءه وأعداءه ودافع بها عن أرائه.

3-ينظر:زين الدين مختاري ، الإتجاه النفسي في فن السيرة عند عباس العقاد ، ص335.

1- ينظر : عباس العقاد ، أنا ، ص18.

2- ينظر: عباس العقاد ، حياة قلم ، دار الكتاب العربي ، بيروت-لبنان ، ط2 ، 1969 ، ص120.

وما يميزه أيضًا وممّا ظهر في كتاباته ، ملكاته الذّهنية الخصّبة ، فقد كان ذكي ، حادّ البصيرة ، يتميز بالقدّرة اللّفظية كما يتميّز بالقدّرة العددية ولعلّ ذلك ما سهّل عليه دراسة الفلسفة و المنطق ، فقد كان رجلاً ممتازًا ، و لم يكن يقرأ في دائرة ضيِّقة من دوائر الإنتاج الفكري بل في فروع المعرفة وأهمها: (الدِّين و سيّر التّاريخ والشِّعر والنّثر) ، وقد أسهم إتقانه للإنجليزية كثيرًا غي النُهوض بالموسوعة الفكّرية التي كان يُمثلها.[1]

ولا يختلف اثنان في أنّ العقّاد أكبر كاتب عربي معاصر عاصر الأُوروبيين في أدبهم وفُنونهم وفلسفتهم الميتافيزيقية ، وآثار هذه المعاصرة تشيع في كتاباته ليُصبح جسرًا مهمًا في عُبور العقلية العربية الحديثة من شاطئ الرُكود إلى شاطئ النُهوض ، فقد كان العقّاد مع كرم طويته يدمج في عداد أصحاب المزاج العصبي الحادّ ، فأصغر شيء يهيجه ولعلّ ذلك هو الذي جعله كثير الخُصومات السِّياسيّة والأدبيّة ، فلم يكن مقلدًا أو ناقلاً لما يقرأ ، وقد أتاح له ذلك أن يتّخذ لنفسه مواقف واضحة.[2]

كان هذا إذًا جانبًا من جوانب حياة العقّاد ، والمتمثلة في حياته الشّخصية بحيث تعرّفنا على نشأته ومُؤلفاته ، وأهم أعماله ، وهذا من خلال كتابه" أنا" ، الذي تناول هذا الجّانب من سيرته الذّاتية ، كما تناولنا أيضًا أهم صفاته النّفسية كما ظهرت في كتابه .

سنتطرق الآن إلى دراسة جانب آخر من حياته ، وهذا من خلال ماجاء به كتابه "حياة قلم" دراسات أُخرى ، وقبل البدء في عرض هذه الدِّراسة نطرح السؤال التالي : ما الهدف من وراء تأليفه لهذا الكتاب؟ وماهو السّبب في اختياره لهذا العُنوان؟.

فمن خلال البحث تبيّن لنا أنّ الهدف من وراء كتابة هذا الكتاب هو:

"إيصال رسالة إلى كل من يهمه أمره ، بل إلى كل من اهمه وكان سببًا في سجنه ، رسالة يقول فيها:{ لم أعرف لي مهنة في الحياة إلاّ صناعة القلم ، الصِّناعة التي رسمت حياتي وفكري وعقلي منذُ

1_ينظر: عمر أحمد فضل الله ، عباس العقاد–هل يأتي في زماننا مثله ، محاضرة ألقيت بمنتدى أمدرمان الأدبي ، منتدى الفحل ، تاريخ الإطلاع: 2018/05/20 - 15:10 .www.alfahal. com

2_ينظر:نفسه.

نُعومة أظافري مرورًا بما امتلكتُه من نُفوذٍ في دُنيا صاحبة الجلالة ، وصولًا إلى العشرات من الكُتب التي تحدثتُ فيها عن الدِّين والفنّ والأدب والنّقد والفلسفة والحُب}".[1]

كان هذا إذًا الهدف والسّبب الرّئيسي في الكتاب هذا الكتب واختيار هذا العُنوان ، فاختار العقّاد القلم ليُدافع به عن نفسه ضدّ كل الاتهامات المنسوبة إليه ، ممّا أدت إلى الزّج به في السّجن ، فكان العقّاد يعشق القلم مُنذُ طُفولته ، وكان هوايته المُفضّلة ، وهذا ما جعله يختيار مهنة الصّحافة وكتابة القلم.

فمن خلال هذا ومن كثرة و شدّة تعلقه بالقلم دخل العقّاد عالم الصّحافة وكتب فيها لمدّة زمنية هذا من خلال قوله في مُقدّمة كتابه "حياة قلم":

"إنّني أعمل في تحرير الصُحف مُنذُ خمسين سنة ، وكُنت لها مُتطوعًا قبل ذلك بسنوات قليلة...وأزيد القارئ فأقول: أنّني مُنذُ بلغت سنّ الطُفولة وفهمت شيئًا يسمى المُستقبل لم أعرف أملاً في الحياة غير صناعة القلم ، و لم تكن أمامي صورة لصناعة القلم في أول الأمر غير صناعة الصّحافة ومع هذا أسأل نفسي الآن كما سألتها من قبل.[2]

"لماذا اخترت هذه الصّناعة دون غيرها في طُفولتي ، وجعلتها أملًا من آمال الحياة الكبرى...بل أمل الحياة الأكبر؟فلا أدري باعث هذا الاختيار على سبيل التّحقيق ، ولا أستغني فيه عن التّخمين الكثير بعد المقارنة بين ذكريات الطُفولة وملابساتها ، وبعد الترجيح من هنا والشّك من هناك كما يفعل الباحث في السيّر والتّراجم ، حيث يعمد إلى التّخمين عن حياة الآخرين".[3]

وإلى جانب هذا التفسير ، يُبين لنا أيضًا تمسكه بها دون غيرها من الوظائف الحُكومية الأُخرى فيقول بهذا الصّدد:

فلمّا علمت أنّ" اللّواء مصطفى كامل" يطلب مُترجمين يعرفون الإنجليزية خطر لي أن أستقيل من وظيفتي وأرشّح نفسي له ، ولكنّني ترددّت ، ثُم فضّلت ترك هذه الفرصة وانتظار فرصة غيرها.

3_هفاف ميهوب ، في "حياة العقاد"..من كتب سيرة الآخر "العقاد"أم المداد؟ ، تاريخ الإطلاع: 22 /2018/05 - 22:38 tawra.sy-print-veiw.

1_عباس محمود العقاد ، حياة قلم ، ص31.

2_نفسه ، ص32

فمن أهم أسبابه لهذا الرّفض هيّ: إنّني إذا أقدمت على هجر الوظيفة الحُكومية ، مفضّلًا عليها الصّحافة فليكن ذلك ، لأكتب لا لأُترجم ، فإنّني ما أحببت الصّحافة لأنّها مورد رزق أفضل من موارد الوظائف الحُكومية ، ولكنّني أحببتها لأنّها مجال للكتّابة أو صناعة القلم بغيّر وساطة من صناعة النّقل أو التّرجمة.[1]

فمن خلال هذا ومن خلال قراءتنا لهذا الكتاب ، أجد بأنّ العقّاد قد وجد ضّالته من خلال القلم فبه شقّ الطّريق ، و كان أنيسه ووسيلته الوحيدة للتعبير وإبداء رأيه ، فكانت الصّحافة ميدانًا له و فتحت المجال لكتاباته و إنتقداته.

ولأنّ الصّحافة لا يمكن فصّلها عن السّياسّة ، فكان لكل حزب في زمن العقّاد صحيفة ، وكانت له من هذه الصُحف مواقف متباينة منّسجمة مع موقفه السّياسي من الأحزاب التي تُمثلها ، وما إن ظهرت صحيفة الدُستور حتى سارع العقّاد إلى ترشيح نفسه ليس للحاجة المادية فحسب ، بل لأنّه يتلقى مع صاحبها في منهج العمل ومناقشة القضايا ، بروح علمية تكفل للعقَّاد حُرّية الفكر فيما يكتب فيها ، وقد ساهمت هذه الصّحيفة في انتمائه لحزب الوفد ونشاطه فيه وتصدِّيه للدِّفاع عنه وعن أعلامه.[2]

فمن هنا نستنتج بأنّ العقّاد قد عاش مع القلم ، فالقلم بالنسبة له سلاح يُدافع به ، كما أنّ لقلمه دور آخر غير الدفاع ألا وهو النّقد ، فكان ينّقد به كل ما يراه قابلًا للنّقد من قضايا وحتى من آراء بعض الشّخصيات و سلوكاتهم ، فهذا ما كتب لقلمه البّقاء ، وأكسبه جماهيرية واسعة ، كما سبّب له أيضًا العديد من المشاكل.

وبهذا الصّدد يقول الباحث نبيل مزوار:

بقدر ما مكّنه من بناء علاقات وفتح قنوات على مُختلف المُستويات ، خلق له بالمقابل خصومات عدوات ، وحال دون قيّام صلات ، وقد سجّلت الصُحف والمجلاّت جانبًا من هذه المساجلات الملاسنات لكنّها آلت في آخر المطاف إلى: إعتذارات ومراجعات و إعترافات ، من ذلك ما حدث بينه

3-ينظر:نفسه ، ص62.

1-ينظر:نبيل مزوار ، الحداثة النقدية في دراسة العقاد الشخصية الشعراء "أنموذجًا" ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الأدب العربي ، جامعة فرحات عباس ، سطيف ، 2011/2010 ، ص18.

وبنيه وبين شوقي و الرافعي ، وطه حسين والمندور...وسواهم ، وإذا كان الأُدباء يخشون قلمه لشدّته وقسّوته فالسّاسة ينبذونه لأنّه كان لهم بالمرصاد.[1]

"فكانت بدايته الصُحفية عام(1907م)بتحرير "مجلّة البيان" ، بالإشتراك مع المُؤرخ محمد فريد وجدي وساعدته تلك المجلّة في التّعرف على سعد باشا زغلول ، فأصبح يُؤمن بمبادئه ، توقّفت المجلّة في(1916م)بعدما كانت تُمثل مصدر رزقه الوحيد لم يجد أمامه حينها سوى البحث عن عمل جديد يستطيع من خلاله توفير قوت يومه ، واضطرته الظُّروف أن يعمل مع صديقه إبراهيم المازني بالتدّريس في المدرسة الإعدادية الثّانوية بميدان الظاهر ، كما أعطى دُروسًا للتلاميذ".[2]

"رغم أنّ بداية عام(1916م) لم تكن مُوّفقة له في المجال الصُحُفي ، لكن كانت تحمل له المُفاجآت السّارة في نصفها الآخر ، حيث ظهرت الطّبعة الأُولى من ديوانه الأول الذي بدأه من عام(1914م) ونشرت أشعاره في شتّى الصُحُف و المجلّات ، إعتمد في دواوينه الأُولى على البيئة المصرية مصدرًا للإلهام وصدرت له بعد ذلك دواوين{حي الأربعين ، هدية كروان ، عابر سبيل} ، ذاعت شُهرته في تلك الأيام وأصبح يُرسل مقالاته إلى مجلّة "الفُصول" ، كما ترجم لها بعض الموضوعات واستمرّ في مشواره الأدبي رغم الظُروف الماديّة الصّعبة".[3]

كان هذا الجانب الثّاني من سيرة العقّاد الذّاتيّة ، والذي خصّه بالتكلم عن مشواره مع القلم ، والذي من أجله دخل مجال الصّحافة ، وممّا لاحظناه أنّه تناول موضوع الصّحافة بشكل واسع ، فإنّ موّضوعها هو الغّالب على صفحات الكتاب ، والتي لخّصها في عنوان كتابه هذا إلاّ أنّ موضوعات هذا الكتاب ، كانت عبارة عن مواقف وأزمات تعرّض لها كاتب السّيرة ، إلى جانب تكلمه عن بعض الشّخصيات التي تعرّف عليها في حياته....كما أنّه أيضًا كان لا يُهمل ولا يغفل عن عدّة أشياء كانت خاصة به ، فكل شيء كان يُدونه ويُسجله.

2- ينظر: نفسه ، ص20.

1-سارة سعيد ، العقاد..مشوار أدبي تفوق فيه التعلم على التعليم ، تاريخ الإطلاع: 2018/05/23 - 14:55
www-mandaraonline. com

2-نفسه.

فكانت له "اليومية" وهي دفتر صغير يُقيد فيه الخواطر والتّعليقات ويكتب فيه الأبيات التي نظّمها و لم يُتممها حتى لا ينساها ، أو رؤوس الموضوعات التي نظر فيها و لم يَفرغ من دراستها ، وقد إجتمع عنده من هذه اليوميات دفاتر ثلاث سنوات... ، وهذا راجع لوهمه أنّه سَيذهب بغير أثر ولا خبر فبعث بها إلى صديق له في القاهرة يقول: أنّ هذه الصّفحات هي كُل ما أتركه إذا تركت الحياة.[1]

وإلى جانب هذين الكتابان "أنا" و"حياة قلم" ، اللّذان خصهما العقّاد لحياته الشّخصية وكذا السّياسيّة والعمليّة ، نجد أنّ العقّاد قد أضاف جنس الرِّواية ، والتي تُعدُّ الرِّواية الأولى والأخيرة التي كتبها العقّاد ، فكانت هذه الرِّواية عبارة عن قصّة عاطفيّة عاشها العقّاد ، فعنْونَ روايته هذه باسم بطلتها "سارة".

سنقوم الآن بدراسة هذه الرِّواية و التّعرف عليها ، بحيث صرّح صاحبها في الكثير من المرّات بأنّها حقيقية ولا بُدّ أن يأتي يوم من الأيام وتُعرض في هذه القصّة.

"كتب الأديب والمفكر الرَّاحل عباس العقّاد رواية واحدة "سارة" صدرت طبعتها الأولى عام(1938م) و الثّانية عام (1943م) ، توالت طبعاتها إلى اليوم ، وقد شغل النُّقّاد أنفسهم بالبحث في الأسباب التي دفعَّت العقّاد إلى أن يدخل عالم الرِّواية ، فمنهم من ذهب إلى أنّه أراد بها أن يدرس جنسٍ أدبي جديد ، وبعضهم قال أنّه يريد أن يُجرب الكتابة في كل المجالات ، و لم يكن هذا و لا ذاك دقيقًا ، فلوْ صحَّ ذلك لوجدنا العقّاد يكتب المسرحية ، القصّة القصيرة ، لكنَّه لم يفعل".[2]

تُعدُّ رواية "سارة" قصّة حقيقية عاشها العقّاد وأراد أن يرويها ويُخلدها ، فحُب العقّاد "لسارة" جعله يصفها بأحلى الأوصاف و يُلقبها بأجمل الألقاب ، فقال عنها بأنّها "إمرأة ليست كالنساء" فيصفها

[1]-ينظر:عباس العقاد ، حياة قلم ، ص120.

1-حلمي النمنم ، "سارة"إمرأة العقاد الحقيقية ، المصري اليوم ، تاريخ الإطلاع: 2018/05/29 - 21:39
www.alittihad. ae

قائلًا: إسمها سارة: مصقولة ، ندية كالثمرة النّاضجة في شُعاع الفجر ، وفتنة ماثلة أمام عينه ، جميلة جمالًا لا يختلط بملامح النِّساء ، لونها الشَّهد المُصفَّى ، حزمة أعصاب تُسمى إمرأة إستغرقتها الأُنوثة وشغلتها جواذب الجسد ، عيناها نجلاوتان ، ولها فم الطِّفل الرَّضيع ، وذقن كطرف الثَّمرة الصغيرة.[1]

سنقوم الآن بعرض ملخَّص أو لمحة عن هذه الرِّواية:

"سارة "بطلة الرِّواية شابة يتعرَّف عليها بطل القصّة "همَّام" في نُزل تُديره إمرأة فرنسية تُدعى"ماريانا" وحصل إعجاب "همَّام" "بسارة" وبطريقة حديثها ، وسُرعان ما تطورت العلاقة بينهما لِتتحول إلى مواعيد بعثت السُّرور في قلب "همَّام" وهو شاب ميسور الحال غير مُتزوج يعيش في حي حديث من أحياء القاهرة ويتردَّد على أماكن التَّرفيه وله ثُلَّة من الأصدقاء ، وكان يُحدِّثهم عن حُبه الجديد وكانوا بدورهم يزرعون في نفسه الشَّك ، أنَّها إمرأة لعُوب وهو ليس سوى عابر سبيل في حياتها وستهجره سريعًا ، لكن "همَّام" لم يكن يرى فيها ذلك الجانب الذي حذَّره منه الأصدقاء[2].

كان "همَّام" وهو بعيد عنها يتساءل عن حقيقة وفائها له ، مُستذكرًا أحاديث أصدقائه له بعدم الوُثوق بها ، وكان يحيا في عالم من الشَّك يحرمه النَّوم ويُؤرق مضجعه ، فيقرر أن يُراقبها ولأنَّه شخص مرموق ومعروف لا يُمكنه القيّام بهذه المُهمة شخصيًا ، فيُكلِّف صديقه "أمين" بمراقبة "سارة" ، يعود هذا الأخير إلى"همَّام" حاملًا معه تقريرًا شفويًا عن تحركاتها وأفعالها ، وذات يوم يُخبره بأنَّها كانت برفقة طفل ويبدو أنه طفلها وهذا يعني أنَّها مُتزوجة...وهذا ما عقَّد الأُمور على "همَّام" إلاّ أنَّه خفَّف على نفسه فهو لم يكن يُفكر في مسألة الزَّواج ، وأنَّها مرحلة طارئة وسُرعان ما تتبدّل.[3]

مرّت بضعت أيام على "همَّام" وهو مُتنغص مهموم من معرفته بحقيقة "سارة" ، لكنَّها حقيقة أراحته وبيَّنت الطَّريق الذي سار فيه ، وهو طريق العثرات والشُّكوك والخيّانة ، لكن هذه القصَّة ومشاعر العقّاد و"سارة" ليست من محض خيال العقّاد ، بل هي مُستقاة من الواقع وتجربة روحية عميقة كان من

2-ينظر: أحمد الجندي ، سارة التي أحبها العقّاد ، المصري اليوم ، تاريخ الإطلاع: 2018/05/29 - 22:02
almasryalyoum .com

1-ينظر:ممدوح السكاف ، العقاد في قصته"سارة":ثنائية بين الحب والشك ، تاريخ الإطلاع: 2018/05/29 - 22:55
thawra. sy

2-ينظر: نفسه.

المعروف الشّائع عن العقّاد أنّه بقدر ما هو منطقي يُؤمن بقُوَّة العقل ، كان في أمور الوجدان عاطفيًا جدًا ، لكنّه لم يُوفق في حُبه و لم يُصادف المرأة التي تصُون العظمة الفكرية لديه ، فَشاء القدر أن يَحجب عنه القلب الوفي رغم أنَّه كان يقول أنَّه يتمنى أن يَعرف ألف إمرأة و يَعشقها.[1]

كان هذا مُلخص عن رواية "سارة" و استخلاصاً أهَّم أحداثها ، إلاّ أنّ هناك اختلافًا بين الآراء عن حقيقة هذه الرِّواية ، لكنّ العقّاد صرّح في العديد من المرات بحقيقة هذه الرِّواية ، فيقول في مُقدِّمتها: إنّ رواية "سارة" كانت تَدور في ذهني ، وكُنت قد نَويت أن أكتب قصَّة "سارة" لأنَّها تَجربة نفسية لا بُدَّ من كتابتها.

عادة يَنفر الرِّوائي أن يُطابق النّاقد بين روايته وبعض تجارب حياته ، والرِّوايات العربية عانت هذه الحالة ووحده من بين الرِّوائيين يَعترف العقّاد بأنّ "سارة" تُعبر عن تجربة خاصة في حياته ، مرَّ هو بها وصَرَّح مِرارًا في أحاديث صُحُفية حتى قبل وفاته بسنوات محدَّدة بأنّها شخصية حقيقية ، وفي هذا التَّصريح لامه بعض القُراء لأنّ إسم "سارة" يرمز إلى إمرأة يَهودية أو إسرائيلية ، وإن لم تَكُن ذلك فهي أجنبية واضطر العقّاد أن يُدافع عما في نفسه نافيًا أن تَكون "سارة" إسرائيلية أو أجنبية ، ومن هذا المُنطلق بدأ البحث عن هوية تلك المرأة.[2]

فمن خلال مايسبق يتبيَّن لنا:

أنّه ظلَّ البحث مُتواصلًا عن معرفة حقيقة "سارة "التي عرفها العقّاد ، والتي من أجلها كَتب رِوايته هذه فنجد أنّ هناك عدد من الباحثين من توصَّل إلى معرفة الحقيقة ، فمن بينهم نذكر:

"أحمد حسين الطماوي" أمضى رُبع قرن من البحث التّاريخي ، ليَتوصل إلى أنّ "سارة" هي الكاتبة "أليس داغر" ، ولها إسم آخر وهو"أليس عبده هاشم" وهي ابنة الرّائدة والكاتبة المعروفة "لبيبة هاشم" ، مؤسِّسة مجلَّة{فتاة الشَّرق}وتَزوَّجت "أليس"من صحافي سوري كان يُقيم في مصر ومُؤمنًا بالعُروبة وهو"عبده هاشم" وحملت إسمه".[3]

3_نفسه.

[2]– ينظر:أحمد النمنم ، "سارة"إمرأة العقّاد الحقيقية.

[3]–أحمد إبراهيم الشريف ، سارة العقّاد...حياتها وأسرارها ، تاريخ الإطلاع: 2018/05/30 - 10:05
http// : S7youm.com

هكذا تَسنّى لنا معرفة الإسم الحقيقي "لسارة" بطلة الرِّواية والتي هي "أليس داغر" ، والتي عاش معها العقّاد قصَّة حُب ، بقيَّت خالدة في ذاكرته وتَركت أثرًا نفسيًا عميقًا في نفسه ، ومن شِدَّة حُبه لها لم يتقبل خيانتها له ، فكتب عنها يقول:

سلوتـــــــــــــــك عاصيًـــــــــــــــا

قلـــــــــــــــبي

و لم أك طـــــــــــــــائعًـــــــــــــــا

أهـــــــــــــــــــــــوى

فمـــــــــــــــــا اختـــــــــــــــــــــــرت

حـــــــــــــــــــــــال

ولكـــــــــــــــن هكـــــــــــــــــــــــذا

الدنيـــــــــــــــــــــا

ويبدو أنَّ العقّاد حسم قراره بكل إرادته ، مع وجود إحتمالية الإستمرار التي رفضها بِشِدَّة.[1]

تريدين أن أرضى بك اليوم للهوى

وأرتـــــــــــــــاء فيـــــــــــــــك اللّهو بعد

التعبـــــــــــــــد

وألقاك جسمًا مُستباحًا وطالمـــــــــــــــــــا

لقيتك جم الخوف جم التـــــــــــــــــــــــردّد

ذلك يكن بد من الكأس والطـــلى

ففي غير بيت كان بالأمس مسجدي.[2]

1_Mohamed Salah، وجوه أخرى للعقاد(2)..قراءة في مجلة الهلال عدد يونيو ، تاريخ الإطلاع: 2018/05/30 - 11:30

www.myegypt mag.com

2_نفسه.

هذه كانت بعض الأبيات التي نظَّمها العقاد مُعبرًا و مُخاطبًا فيها المرأة التي أَحبَّها ، والتي كانت قصَّة حُب ومشاعر مُتبادلة بين الطَّرفين ، إلاّ أنّ هذه القصَّة لم يُكتب لها النَّجاح ، وهذا يَعود لِلشك الّذي خيَّم عليها وَوَضع حدًّا لهذه العلاقة.

كانت هذه سيرة العقّاد الذّاتية ، والتي عرّفنا عليها هُو بنفسه من خلال كتاباته ، إلاّ أنّنا نجد أنَّ الكثير من الباحثين أجمعوا على أنّه لم يكتب سيرته الذّاتية بالشَّكل المُتعارف عليه ، أي كما كتبها الّذين سبقوه و الّذين أتوا بعده ، فهي تختلف عن باقي السيَّر بحيث أنَّه قدمها بشكل مُختلف من خلال كتابيه "أنا" و "حياة قلم" ، والّذي خصَّ كل كتاب بجانب خاص من حياته.

عاش العقّاد منذ مطلع حياته يُؤمن بقوَّة العقل ، وأنَّ الإنسان مَسؤول أمامه عن عقيدته فكانا له رُكنان أَساسيان تَقوم عليهما آراؤه.

الرُّكن الأوَّل: يتصل بكرامة الإنسان الشَّخصية ، وقد تغذى هذا الإتجاه على اعتداد شديد بكرامته وشّخصيته ، ومُراعاة حقوق الفرد مع التأكيد الشَّديد على أن ذلك لا يُلغي حقوق الجماعة ، وهو يرى في هذا أنَّ الإنسان مُتصل في وُجوده بالذَّات من جِهة ، ومن جِهة أَخرى مُتصل بالنَّوع حتى في خلايا دمه ووظائفه ، ومعنى ذلك أنَّ الفرد لا يستقل عن الجماعة في تكوين جسده ووعيه الباطن وهذا ما يُؤكد صلتهما الدَّائمة.[1]

أمّا الرُّكن الثّاني: الذي تعتمد عليه آراؤه فهو الحُريَّة ، حُريَّة الفكر وحياة العقّاد الوظيفية والصُحُفية وإنتاجه الفكري ، مرآة صادقة تنعكس عليها طبيعة هذا الإتجاه وآثاره ، فقد كانت له مواقفه السِّياسيّة ومواقفه من الأدب والفكر في سبيل المحافظة على فكره ، لم يُبال بكثرة الخُصوم ورحب أن يُقاسي شظف العيش وزُجَّ به في السُّجون ، كل ما سبق ساعد في خلق ظاهرة بارزة في حياة العقّاد ، تلك هي ثَباته على آرائه فما أن يرى الرّأي ويُعلنه حتى يَلتزم به ويُدافع عنه ويُصبح جُزءًا من نفسه.[2]

1-ينظر:خليل حمد ، المقال الأدبي عند العقّاد جمعًا و دراسة ، تاريخ الإطلاع:2018/05/30 - 22:38
http:// books.dz

2-ينظر:نفسه.

كانت هذه مزايا أُخرى تُضاف إلى شخصيَّة العقّاد القويّة ، فكانت له آراء و مُنطلقات فكريّة يمشي بها يعتمدها في حياته ، فكانت قاعدته الأسّاسيّة في الحياة هي "الحُرية".

ونجد شخصيات كبيرة مُعجبة بالعقّاد وتصفه بمواصفات عديدة ، فمن بين هذه الشّخصيات نجد:

"مصطفى لبيب" الأديب والنّاقد يصفه فيقول: إنّ العقّاد يُمثل عبقرية حقيقية جمعت العديد من المواهب ، فهو ناقد وأديب وشاعر ومُفكر ، ومؤرخ وسياسي وفيلسوف وكاتب ، مؤكدًا أنّ المفكر الكبير هو فارس كتابة المقال في مصر ، وله مقالات كثيرة لم تُجمع في كتاب حتى الآن.[1]

كانت هذه إذًا إحدى الشّهادات التي قالها هذا الأديب والنّاقد في حق العقّاد ، مُعترفًا بما وصل إليه وما حقّقه من ألقاب.

فارق الحياة عبّاس محمود العقّاد في 13-مارس-1964م ، عن يُناهز 74عامًا ، توفي صاحب العبقريات بمدينة القاهرة ، مُخلدًا ورائه تُراثًا زاخرًا من الكتب في شتّى الفنُّون الأدبيَّة ، ما يفوق 70كتابًا رحل العقاد عنّا جسديًا لكنّه حيّ وباقي في ذاكرتنا ، فهذا النّوع من الشّخصيات لا يُمكن نسيانها فأعمالها تُحييها أينما حلّت وارتحلت.

هذا ما تعلّق بجانب السيرة الذاتية عند العقاد ، وفي الفصل الموالي سنتطرق إلى سيره الغيرية .

3-ينظر:بدر محمد بدر ، رؤية نقدية للعقاد في ذكراه الخمسين ، تاريخ الإطلاع: 2018/05/31 - 10:15 www.aljazeera.net.com.

قام العقّاد بدراسة عدّة سيَّر غيْرية ،واختلفت هذه السيِّر من حيث طبيعتها وانتمائها حيث دَرس شخصيات عديدة ومتنوعة من شتَّى المجالات ، ومن بين الشَّخصيّات التي تناولها ، حياة الشُّعراء وهذا من خلال أشْعارهم ومن هذه الشَّخصيات الشّاعرة "ابن الرومي"، بحيث أنّه استنبط أهم صفاته وحالته النّفسيّة من خلال شِعره ، كما أنّه اهتم أيضًا بدراسة شَخصيات العُظماء، ومن بينها "عمر ابن الخطّاب" الّذي سرد لنا حياة هذا العبقريّة، مُبينًا لنا أهم صِفاته النّفسيّة و الجسديّة، وكذا خِصاله ومَواقفه العَظيمة في الإسلام كما نجد كان لرجال السّاسة نَصيب في هذه الدِراسات، ومن بين هؤلاء الرِّجال "سعد زغلول" حيث عرَّفنا على حقيقة هذا الشَّخصية السِّيّاسيّة من صُوَّره النَّفسيّة وأعماله خلال مسَاره السّياسي.

من خِلال كل ما سبق ، نطرح الإشكال التالي على أي أساس قام العقّاد في دراسته وتحليله لهذه الشّخصيات؟ و ما هي مرجعياته العلمية التي استند عليها وساعدته في ذلك؟.

من خلال دراستنا وبحثنا ، تبيّن لنا أنّه اعتمد في دراساته وتحليلاته للشّخصيات على المجال النّفسي، أي علم النّفس، الّذي ساعده على استخراج الصُوَّر النَّفسية، واستخلاص أهم المواقف ، وهذا العلم هو مدرسة كبيرة لما له من أهمية في دراسة وتفسير الحالات النّفسيّة للأشخاص ،وعلى هذا سنقوم بتعريف هذا العلم.

1 /-المفهوم العام لِعِلم النَّفس:

"ذكرت الكُتب التي تَدرس "علم النّفس" الكثير من التّعريفات البسّيطة له ، فعرّفه البَّعض بأنّه العلم الّذي يَدرس سَيكولوجية وآلية نشاط الفرد أثناء تفاعله مع البيئة الخارجية، وهو أيضًا العلم الّذي يهتم بدراسة وفهم الأنماط السُلوكية وعلاقة البيئة المحيطة وتأثيرها في عملية تَكوُّن السُلوك بالطُّرق والأساليب العلميّة كدراسة طُرق تفكير الفرد في المواقف المختلفة ، وتأثيرها في السُلوكيّات الإستجابية في حال السَّواء اللاسَّواء أي شُذوذ السُلوك".[1]

ومِن الممكن بأنّه العِلم الّذي يَدرس السُّلوك الإنساني ، والعمليات العقلية الّتي تقف وراء هذه السُّلوك بطريقة علمية ، من خلال فهم السُّلوك وضبطه ومن ثمَّ التنبُّؤ به، ويقوم "علم النَّفس" على الدِراسة الوّاسعة والشّاملة للسُّلوك الإنساني أثناء تَفاعله مع بيئته الخارجيّ ، ومُحاولة فَرض التّعديلات

[1]-شهيرة دعدوع، مفهوم علم النّفس ، تاريخ الإطلاع: 2018/06/01 - 01:22 mawdoo3.com.

المناسبة عليها، لِرفع مُستوى التّكيُّف الذّاتي ، ويَشمل هذا السُّلوك السُّلوكيات الخارجيّة القابلة للمُلاحظة: كتناول الطّعام واللّعب والقيّام بالواجبات المختلفة، وغيرها من السُّلوكيات الدّاخلية الّتي لا تبدو إلى لصاحبها كالحُزن والغَضب[1]....

بعدما تعرّفنا على مفهوم "علم النّفس" والّذي يُعدّ علمًا مُستقلاً بذاته، فَهوّ عِلم يميل للجانب العِلمي إلاّ أنّنا نجده في الكَّثير من الدّراسات الأدبية ،فمن هنا نطرح هذا السُؤال: ما علاقة علم النّفس بالأدب؟.

2/-علاقة علم النَّفس بالأدب:

"تداخلت العديد مِن المفاهيم المعقَّدة في عِلم النَّفس وأنواع الشَّخصيات والدّوافع الغامضة مع سِمات شخصيات كثيرة في الأعمال الأدبية ، فعلى سبيل المثال كان الإنسان ووُجوده من المواضيع الأساسية في الأدب ، والّتي سَبقه علم النَّفس في مُناقشتها، ومِن الجدير بالذِّكر أنّ الأعمال الأدبية والفنِّيَّة تُمكِّن الأفراد من أن يكونوا على بيِّنة من شخصياتهم ، وتجعلهم قادرين على التمييز بين الشَّخصيات المختلفة ، وتُحفزهم للتساؤل حول معنى الحياة و الوُجود ، وهذه الأُمور نوقشت في مجال عِلم النَّفس أيضًا".[2]

"وهذا التّداخل بين علم النَّفس والأدب ، يُبين أنّ كلاهما يتعاملان مع البشَّر ورُدود أفعالهم ورغباتهم والبُؤس الّذي يَتعرضون له والشَّواغل الفردية و الإجتماعي و يُركِّز عِلم النَّفس والأدب على السُلوك البشري ، حيث أنّ هناك عِدّة نِقاط تتلاقى فيها مصالح عُلماء النَّفس والأعمال الأدبيّة ، ومن ذلك توظيف نظريّات عِلم النَّفس وفهم السُلوك البشري في العُصور التّاريخية القديمة في الأعمال الأدبية ، وفي التَّحليلات النَّفسية للأدب".[3]

وبهذا الخُصوص نجد أنّ "لسيغموند فرويد"(1939م) "مُؤسس عِلم النَّفس" رأي حول علاقة عِلم النَّفس بالأدب ،حيث يرى بأنّ:

"الإنسان حبيس من المكبوتات يطلق سراحها الإبداع ،فالفن و الأدب عنده ولع شديد باللاّشُّعور ولم تبق هذّه النّظرية لوحدها بل نشأت في اتجاهات عديدة تُبين مدى اقتران العالم الدّاخلي بالأدب ، فمن

[1] – المرجع السابق.

[2] –محمد السيد ، الأدب وعلم النّفس ، تاريخ الإطلاع: 2018/05/01 – 01:59 .mawdoo3.com

[3] –نفسه

أهمها مدرسة "كارل يونغ" (1961م) بتسطيره مُصطلح" الأدب السيكولوجي" ، وهو الأدب الّذي يُصوّر النَّفس الإنسانيّة وهي تعيش في صُلب الدّراما الحياتيّة فالجوّ النّفسي البشري في وجهة نظره رحم تنبع مِنْها الإبداعات".[1]

ونستنّتج مِما سبق أنّ عِلم النَّفس له دور في تفسير نَفسيّة العديد مِن الأُدباء ،وهذا مِن خِلال كتاباتهم فمِن خِلال تطبيق هذا المنْهج على هذه الأعمال، نستطيع استكشاف الحالة النَّفسية للأديب مِن فَرح أو حُزن، و التّفاؤل والتّشاؤم، فهذا العِلم ساعدنا في معرفة كل يَجول في خاطر الكّاتب.

3/-المنْهج النَّفسي عند العقّاد:

"يُعدّ العقّاد أحد رُواد المنْهج النّفسي في الأدب العربي ، إلى جانب "محمد خلف الله أحمد" و "محمد النُويّهي"..، مع الاختلاف بينهم في وسائل المنْهج ، والعقّاد أبرز الثّلاثة تطبيقًا للمنّهج النَّفسي في الأدب فقد بدأه بِدراسته عن "ابن الرومي" التي يُظَّن أنّها إسقاطية لشخصيَّة العقّاد نَفسه ، فكل ما رآه عن ابن الرُّومي هو عن العقّاد ، من حيث الانطواء والعُزلة...والإقبال على الحِسيّات وعدم نيْل الحَق المشروع من كَم الشُهرة والذُّيوع وغيرها ، كالحِدّة في المزاج والحِدّة في الهُجوم على الآخرين وغيرها من عوامل نَفسيّة أُخرى".[2]

فنجد أنّ العقّاد ،قد اعتمد على هذا المنْهج في العديد من دارساته السَّيريَّة ، فمن خلاله تعرّفنا على السِّمات الباطنيّة والصُوّر النَّفسيّة ،لِكثير من الشّخصيات المعروفة ، وهذا من خلال العصر والبيئة الّتي ينتمون لها وكذا من خلال الملامح الجسديَّة، فهذه هي المعطيات الّتي اعتمدها العقّاد في دراسته للشّخصية وساعدته كذلك في التَّحليل.

"يُفضِّل العقّاد هذا المنْهج ويرى أنّه الأَوْلى بالتّقديم والتّفضيل "لأنها مدرسة التي نستغني بها عن غيرها ولا نُفقد شيئًا من جوهر الفنّ أو الفنّان المنقود" هي تُحيط بالمدارس الأُخرى كلها في جميع مزاياها ،

[1]-كريم سناء ، المنحى النفسي عند العقّاد-عبقرية عمر بن الخطاب أنموذجا، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر ، جامعة أبي بكر بالقايد تلمسان ، 2016/2015م ، ص04.

[2]-عبدالله بقازي ، منهج العقّاد النّفسي ، المدينة ، تاريخ الإطلاع: 2018/06/02 - 10:48 .www.almadina.com

وأي مدرسة تَقوم مَقامها ، إذا جهلنا ملامح الشّاعر وجهلنا المميزات بينها وبين غيرها مع وحدة البيئة والزّمان لأنّ المعرفة ابنفس الأديب كما يرى العقّاد هي اختصار لكل أطوار العصر وأحواله وأطوار الثّقافة فيه ، و أنّ من عرّفنا بهذه النّفس ، كما يرى العقّاد فقد أغناه ذلك عن تعريفنا بعصره وراء هذا الغرض المطلوب ، ولا هو في حاجة إلى التّعريف بالبواعث الفَنّية التي تميل به من أُسلوب إلى أُسلوب ، وينسجم هذا الفهم مع عناية "مدّرسة الدّيوان" بدراسة الشّخصيات وتأكيد موقعها الرّائد في عصرها".[1]

"وتأسيسًا على هذا الفهم فإنّ دراسة الشخصية زادت من اهتمام العقّاد بالمنْهج النَّفسي وتقديمه له عن سِواه في دراستها حتى غدت عنايته بهذا المنْهج عناية كبير "[2].

إلاّ أنّ هناك العديد من الأُدباء من نقدوا و رفضوا هذا المنهج في الآداب العربية ، و قالوا أنّه منْهج خاص بالجانب العلمي وليس بالجانب الأدبي ، إلا أنّ العقاد استمر في البحث بخصوص هذا المنْهج وتطبيقه في العديد من دراساته للشّخصيّات.

ردّ العقّاد على كل من نقدوه ، فمن بين هؤلاء الذّين ردّ عليهم العقّاد طه حسين:

"لرفضه التّحليل النَّفسي في النّقد الأدبي باعتباره مجالاً للأطباء لا للأُدباء ، معتبراً أنّ موقفه هذا إنّما سببه انصرافه عن قراءة الدِّراسات الّتي تبرَّأ منها ، ولو أنّه كلَّف نَفسه وقرأها كما يقول العقّاد لعَلِم من خلالها: أنّ الأُدباء هُم الخُبراء الّذين يَرجع إليهم الأطباء كُلما اتصل الأمر بالتعبير وتدبر معانيه أو بالخيال وتصور رُموزه".[3]

سنتناول في هذا الفصل أهم السيّر الغيْرية التي درسها العقّاد وفق المنّهج النّفسي ، ومِن بين هذه السيّر سيرة"ابن الرومي" ، والّتي عرّفنا العقّاد من خلالها على نفسيّة هذا الشّاعر التي انعكست في شِعره ، مُكتشِفاً صورته النّفسيّة .

قبل عرض هذه الدّراسة سنقوم أولاً بتعريف ابن الرومي.

تعريفه: هو أبو الحسن علي ابن العباس (221-283ه) بغداد ، يعد من أهم شُعراء العصر العباسي لما له من أثر زاخر ، و هذا راجع للتنوع في أشعاره ما بين مدح و هجاء و رثاء ، فبالرغم من المكانة التي

---

[1] -نبيل مزوار ، الحداثة النّقدية في دراسة العقّاد الشخصية الشعراء "أنموذجًا" ، ص 108-109.

[2] - نفسه ، ص110.

[3] -نفسه ، ص110

حصل عليها إلا أنه و من خلال دراستنا له كان ذا حظ سيء و غير محبب عند الناس ، و هذا راجع للمصائب و الأزمات التي حلت بأقاربه ، مما جعله شديد التطير و التشاؤم و هذا واضح من خلال بعض أشعاره ، مما جعله محط دراسة عدّة نقّاد ، و هذ ما قام به العقّاد في دراسته "لابن الرومي" من خلال شِعره بتطبيق المنْهج النَّفسي.

"إنّ دراسة العقّاد عن "ابن الرومي" مثال جيّد توِّجت به الدِراسات النّقدية الّتي ظهرت في إطار الاتجّاه النَّفسي ، مُنذ أن تحدث في مطلع العقد الثاني من القرن العشرين ، آخذاً مكانة بارزة بين اتجّاهات النّقد العربي الحديث ، لأنها دراسة شاملة اعتمد فيها العقّاد على أُسس واضحة بدأ بها حياته الأدبيّة النّقدية ، فمَن يّستعرض كتابات العقّاد النّقدية الأولى و تصوراته للتّجربة الشِّعرية يجدها شاخصة في دراسته عن "ابن الرومي" ، فهو ينطلق في هذه الدراسة من مبدأ أن الطبيعة الفنيّة هي مقياس الحكم على الشُّعراء"[1].

و يعني بالطبيعة الفنّية: "تلك الطبيعة التي تجعل من الشّاعر جزءًا من حياته أياً كانت هذه الحياة من الكبر أو الصغر ، و من الثَّروة أو الفاقّة و من الأُلفة أو الشُّذوذ ، و تمام هذه الطبيعة أن تكون حياة الشّاعر و فنّه شيئاً واحداً لا ينفصل فيه الإنسان الحيّ عن الإنسان النّاظم ، و أنّ يكون موضوع حياته هو موضوع شِعره ، و موضوع شِعره هو حياته ، فديوانه هو ترجمة باطنيّة لنَفسه يخفي فيها ذكر الأماكن الأزمان ، و لا يخفي فيها ذكر خالجة ولا هاجسة مِمّا تَتألف منّه حياة الإنسان[2].

فمن خلال هذا يتبين لنا أن العقّاد قد اهتم بحياة "ابن الرومي" ، و درسها دراسة شاملة و وَقف على كل صغيرة و كبيرة من حياته ، و نجده أيضاً و كأنّه قد أحيا نفسيَّته و هذا راجع لِما خلَّفه "ابن الرومي" من أشْعار.

و يبدو أن العقّاد حاول إعادة ابناء الحياة النّفسية مُتسلّحاً بما تركه "ابن الرومي" في ديوانه الشِّعري بمعنى أنّ العقّاد اعتمد في دراسته على ما خلَّفه هذا الشّاعر من أثر يَبدو شديد الثِّقة بهذا الأثر

[1]- أحمد حيدوش ، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، ط1 ، ب.س، ص 91.

[2]- ينظر: عصام بهى ، ب ت ، الاتجاه النفسي في دراسة الأدب ، مجلة النقد الأدب ، مجلد التاسع ، مصر ، العدد الثالث و الرابع ص 137.

الشِّعري لأنّه على ما يرى و حسب قول أحمد حيدوش: «يُعوِضنا ... من ذلك النّقص الكبير بخاصة فريدة فيه ليست في غيْره مِن الشُّعراء ، و هي مراقبته الشَّديدة لنَفسه و تسجيل وقائع حياته في شِعره»[1].

و ظلّ العقّاد يطارد ملامح "ابن الرومي" الجسدية في شِعره و مَخاوفه و هَواجسه و أوهامه و سُخريته من نَّفسه و من غيْره و حِقده و هِجاءه و تَطيُّره ، "فابن الرومي" لا يُحوجك إلى التعرّف أو الاستطلاع لأنّه يُغنيك عن الملاحظة ، بما يقوم به من مُلاحظة نَفسه و تقْييد شَوارد فِكره و هَمسات فُؤاده و سَجات أحلامه ، فكأنَّما هو رَقيب على بَواطنه و ظَواهره ، و كأنَّما أعطى نَفسه ليُجريها و تقييد تجاربه فيها[2].

يتضح لنا مما سبق أنّ العقّاد قد استخرج من شِعر "ابن الرومي" عِدّة صُوَّر مِن مَخاوف و هواجس تَطيُر ، فكان الهدف مِن وراء هذه الدِّراسة هو الوقوف على أهم الأسباب النَّفسية مِن وراء هذا ، فنجدها مِن أولى اهتماماته.

"فالعقّاد لا يهمل بطبيعة الحال اهتمامه وسعيه للوقوف على العلة النفسية وراء هذا كله ، من حياة ابن الرومي و شخصيته ، فيجدها في طبيعته التي تتميز في كل شيء بالاستقصاء و الإسراف ، «لا يمسكها ضابط و لا تعقدها عزيمة » و هو ما يرجع بدوره إلى «توفّر الحس و مطاوعة الرغبة الحاضرة و الاندفاع معها و قلّة الصبر عنها»[3].

لقد وقع "ابن الرومي" في حَلقة جهنمية مِن مزاجه المسْرف و جَسده المعتل «فَمزاجه أَغراه الإسراف و الإسراف جَنى على مَزاجه ، فإنّ هذا الإسراف الموكل بالاستقصاء في كل مَطلب و رَغبة خَليق ، و لا غَرو ، أنّ يّسقم جِسمه و يَنهك أعصابه و يتحيّف صوابه ، بيد أنّه لا يُسرف إلاّ و في

[1] – ينظر: عباس محمود العقّاد ، ابن الرومي حياته من شعره ، مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة ، جمهورية مصر العربية ، ب.ط 2012 ص 64.

[2] – ينظر: نفسه ، ص 65.

[3] – عصام بهى ، مجلة النقد الأدبي ، ص 138.

جسمه سَقم و في أعصابه خَلل و في ضَوابطه شَطط لا يَكبح جِماحه ، فالعِّلة هي سَبب الإسراف ، و الإسراف هو سَبب العلَّة»[1].

و يمكن أن نستخلص مِن هذه الطبيعة عِدّة سِمات "سيكوفنية" تَنضوي كلها تحت سِمة واحدة وضوح ملامح شَخصية" ابن الرومي" في شِعره ، و هي مَلامح تَمتزج فيها العلامات النّفسية: كالمزاج الشّاذ و الطِّيرة و الخوف ، و الاختلال العَصبي ، و نمط المعيشة ... بالعلامات الفنيّة: كطول النَّفس الّذي أَتاح له القُدرة على استقصاء المعاني و تَوليدها و الاسترسال فيها ، و الجمع بين الصورة المتباينة و التصوير السّاخر و الإطالة في القصائد ، و كل ما يَمتّ بِصلة إلى الصياغة و أُسلوب التَّعبير و النّزعة الفنيّة و الذَّوْق الجمالي و المتفرِّد[2].

"إنّ وَلع الشّاعر باستقصاء المعنى و تَوليده و تَفريعه لا يعني في نظر النّاقد أنّه كان يَجهد نَفسه في إيجاده و تَصنُّع لَفْظه طلباً للزخرفة الملفّق و المحسّنات المموّهة ، و يبدوا هذا عجيباً من رجل مُتطيّر لا يَفوته جِناس أو تَشابه في الكلمات ، لأنّ الشّاعر كان يلجأ إلى الجناس في أوقات التَّطيُّر ، فَتَراه يلَعب بالمعاني الألفاظ و الكلمات مجُانساً مُزَوِّقاً ، و لكن وراء هذا اللّعب نَبأ و شُعور ، و في غير أوقات الطِّيرة لا لَعب و لا جِناس و لا تَزويق ، إلا ما جاء عَرضاً بلا تَعسّف و اتّفق له كما يَتّفق لأي شاعر مَطبوع ، و إذا طلب التّجنيس أحياناً ، و إنّما يطلبه للعَبث و التَّسليّة و ليس للتّلفيق و الزّخرفة ، كقوله"[3]:

"لو تلفّقت في كساء الكسائي و
تلبّست
فروة الفرّاء
و تخلّلت بالخَليل و سيبويه لديك رهن
أضحى سباء
و تكوّنت من سواد أب الأسـ ودِ شخصاً يُكنّى أبا السوداء
لأبى الله أن يعدك علم إلاّ من جملة

[1]- ينظر: نفسه ، ص 138.

[2]- ينظر: زين الدين مختاري ، الاتجاه النفسي في فن السيرة عند عباس العقاد ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الدولة ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، 1997-1998 ، ص 121.

[3]- نفسه ، ص 121.

أهـــــــــــــــل الـــــــــــــــ الأعبـــــــّاء

و يرى النّاقد أنّ إلحاح الشّاعر على استقصاء معانيه و تَوليدها دَلالة على إسراف فنّي تماماً كإسرافه الشَّديد في طلب الأكل ، و الشُّرب و اختيار صُنوف الطّعام المختلفة ، و لكن الإسراف الأوّل دلالة على عَبقرية فنّية و جمالية يونانّية مُرتبطة أَشدّ الارتباط بمزاج شاذ و نَفسية مُضطربة مَريضة بِعُقدة الخوف"[1].

يُفسِّر لنا العقّاد هذا المزاج الّذي انفرد به "ابن الرومي" عن غيره فيقول:

"بين أصحاب هذا المزاج أُناسٌ مِن نَوابع الشِّعر و الفُنون عُرِفوا بِسُرعة الملاحظة و سُرعة الخاطر أو عُرفوا على الأصَحّ بِسرعة انتقال الخواطر و تَعاقب الأفكار و استحضار المناسبات الخفيّة و المشابهات البَعيدة التي تُدركها سُرعتهم و لا تُدركها عُقولهم السَواد في بُطئها و أخذها بالسَّير المألوف"[2].

أ- صورة ابن الرومي من خلال شعره:

لقد حاول العقّاد أن يستخرج "لابن الرومي" مِن شِعره و أخباره صورتين: صورة جِسمية تجعلنا إزاء إنسان لا يختلف كثيراً عن سائر المخلوقات ، و صورة نَفسية تَعكس لنا مَخاوف و هَواجس عانى مِنها الشّاعر فيقول: " كُل ما تعلمه عن نَحافته و تَقزُّز حِسه ، و شَيخوخته المبكّرة ، و تَغيّر مَنظره و مَوت أولاده طِيرته و شَهوانيته الظّاهرة في تَشبيهه و هِجائه ... ثُم كُل ما تُطالعه في ثَنايا سُطوره مِن البَدوات الهَواجس القَرائن لا تُخطئ فيها الدَّلالة الجازمة على اختلال الأعصاب ..."[3].

يُبين لنا العقّاد مِن خلال دراسته "لابن الرومي" و استخراج الصورتين من شِعره ، و يُفسر العقّاد كُل تِلك الظواهر النَّفسية و الجسدية ، و كُل ما حصل للعقّاد يُرجعها إلى سَبب واحد حَسب نَظرته تحليله إلى اختلال الأعصاب.

ومِن هنا يَتّضح لنا أنّ العقّاد قد استطاع أن يَصِل إلى غَرَضه الأساسي ، وهو رَسم الصورة النّفسيّة "لابن الرومي " ، وذلك عِندما صاغ الصّورة الجِسميّة لَه فَهو مَثلاً عِندما استخدم الصّورة أو

[1]- نفسه، ص 121.

[2]- المرجع السابق ، ص 122.

[3]- ينظر: أحمد حيدوش ، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ص 94.

بَعض الأجزاء مِنها كان ذلك مِن أجل تَأكيد شيء واحد وهو أنّ"ابن الرومي" كان لَديه استعداد لِلهواجس مُنذ شَبيبته خاصة بَعدما طالع العقّاد الرِّوايات الّتي تَحدّثت عن طيرته وبالتّالي أكَد رَأيه إلى أن يَصل إلى حَديثه عن طيرته الّتي يُرجع السّبب فيها عند"ابن الرومي" لإصابته باختلال الأعصاب.[1]

"فكيف نُفسر انتشار هذه الظّاهرة في عصر "ابن الرومي" ، حيث يَعترف العقّاد ابنفسه بانتشارها فيقول: «و حَقّ لأبناء القرن الثالث أن يخافوا المشؤومين و طُرداء القَدر لأنّه عَصر السَّعد و النَّحس»، فقد كان أصحّ الأصِّحاء في عَصره ، يُصدق الطّوالع و يُؤمن بالسَّعد و النَّحس و التَّفاؤل و التَّشاؤم"[2].

و بهذا يكون العقاد قد جعل طيرة "ابن الرومي" ظاهرة طبيعية يُشاركه فيها مُعظم مَن هُم في سِنّه أنّه قبل هذا السِّن ، أي سِن الشَيخوخة ، كان شأنَه شأن مُعظم أبناء عَصره في طيرته ، و بهذا الرأي يكون العقّاد قد هدم ما ابناه ، بيد أنه اقترب كثيراً من الصّواب ، بل لعلّ الأصوَب أن تكون طيرته كذلك أليس هو القائل:

فَخذ خِلســـــــــــة مِن كل يـــــــــــوم و كُن حذراً مِن كامنات العَواقب

تَعـــــــــيشـــه

ودَع عَنك الفَأل و ازجر و اطرح تَطيـــــــــــر جار أو تَفـــــــــــاؤل

صـــــــــاحـــــــــــب[3]

فإنّ "ابن الرومي" كان على هذه الحال في طَبيعته الفنيّة الدّالة على نفسيّته وعَبقريّته ، وقد تجسّدت عَملياً على مُستوى التّصوير الشّعري الّذي كانت تُوجِهه عِلّته المركزيّة ، ألا و هي الطِّير ، بحيث أنَّ مُعظم صور "ابن الرومي" الشِّعرية كانت انعكاساً لمداخل هذه العِلّة التي كانت تأتيه مِن رافدين: الذّوق الجمالي نوادر الخواطر[4].

وقد تطرق العقّاد إلى دراسة سيكولوجية الصّورة الشِّعرية بين اليَّقظة الحسِّيَّة و اليّقظة الباطنيَّة في شِعر "ابن الرومي" ، و القَّصد باليَّقظة الحسِّيَّة عند العقّاد: هي النَّشاط الظّاهر الّذي يَقوم بإدراك ظواهر

[1] -نفسه ، ص94.

[2] – عباس محمود العقاد ، بن الرومي حياته من شعره ، ص 153.

[3] – ينظر: أحمد حيدوش ، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ص 98.

[4] – ينظر: زين الدين مختاري ، الاتجاه النفسي في فن السيرة عند عباس العقاد ، ص 126.

الأشياء عن طريق الحواس ، كالسَّمع ، البصَر ، الشَّم ... فلِليقظة الحسِّيَّة دور كبير في نَسج خُيوط الصُورة الشِّعرية و ذلك لاعتمادها على الحواس (البَصر ، السَّمع) و الّتي لها دَور في إبراز ظواهر الصّورة الشِّعرية ، إذ لا يَتمّ إدراكها إلا بها[1].

و بالرّغم مِن أهمية اليَقظة الحسِّيَّة في إدراك ظَواهر الأشياء الخارجية في الصّورة ، إلاّ أنّها تحتاج إلى عَملية أُخرى تُساعدها في ذلك ، و تَتِم معها هذه العَملية التَّصويرية ، ألا و هي اليَقظة الباطنيّة ، فاليّقظة الباطنيّة عند العقّاد: هي ذلك النَّشاط الدّاخلي الّذي يُساعد الشّاعر على إدراك بَواطن الأشياء ، و مِن خِلال هذين المفهومين لِليقظة الحسِّيَّة و الباطنيّة عِند العقّاد ، نجده مِن خِلالهما يُحدد مَنبع الجانب الحِسي و الشُّعوري"[2].

فالعقّاد هنا يُؤكّد على هذين النَّشاطين ، فهما مَرحلتان مُهمّتان في بَثّ الإدراك السَيكولوجي للصّورة الشِّعرية ، إذ أنهما يُحدِّدان الطبيعة النَّفسية للصّورة ، و قد استدل العقّاد على ما ذَهب إليه بِشأن اليَقظة الحسِّيَّة و اليَّقظة الباطنيّة في الصّورة ، و الّذي يُعد نَموذجا في شِعر "ابن الرومي" ، واصفاً لِعيش الكُتاب و المؤاسرين في عصره قائلاً[3]:

لهف نَفسي على مناكير للنكـــــــــــر غُضاب دوي سُيوف غصاب

تغسل الأرض بالدّماء فَتضحى ذات طـــــــــــهـــــــــــر

تـــــــــــُرابـــــــــــهـــــــــــا

كالمـــــــــــلاب

مِن كـــــــــــلاب نأى بهـــــــــــا عَن وَفاء الكِلاب غَدر الذِّئـــــــــــاب

كـــُــــــــــــل نأيٍ

و إثبات على الظباء الضّعـــــــــــاف عَن وثاب الأُســـــــــــود يـــــــــــَوم

يـــــــــــثاب

فقد تجسّد النّشاط الحسّي في هذه الأبيات في العبارات التّالية: (تغسل الأرض ، لهف نفسي وثاب الأسود ، الظباء ، الضّعاف ، تُرابها كالملاب) ، و الّتي انعكس عليها النّشاط الباطني ، حَيث قام

[1] – ينظر: سارة طلاب ، النقد النفسي عند العقاد سيكولوجية الصورة الشعرية في شعر بن الرومي ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ، 2014-2015 ، ص 41-42.

[2] – ينظر:نفسه ، ص 42.

[3] –ينظر:المرجع السابق ، ص 43.

بتِرجمتها و ذلك لإدراكها بواطنها و إخراجها من الُجمود لِتحويلها إلى صورة واعية ، حيث أكّدت هذه الأبيات المتمثلة في الصّورة السَّيكولوجية و مِن مَنظور العقّاد على نَفسيّة "ابن الرومي" المتشائمة ، و ذلك إزاء ما كان يَمر به عَصره إزاء ما كان يحَصل لِلكُتّاب و المؤاسرين مِن طرف مُلوكهم الطُغاة ، حيث جَسّد كل ما هو حسّي و باطني لِيُعبِّر عن نَفسيّة حَزينة و غاضبة في نَفس الوقت[1].

فالصّورة الشِّعرية عند العقاد يجب أن تَنتهي إلى الدّاخل بَعد إدراكها مِن الخارج ، لإعادة صِياغتها إخراجها في إهابٍ حَتى يمتزج فيها الجانب التّعبيري بالجانب النّفسي ، "إنّ الصّورة الشِّعرية في تَصور العقّاد تَمر بمِرحلتين ، الأُولى: إدراك مِن الخارج إلى الدّاخل ، و هو الإدراك الحسّي ، و الأخرى إخراج مِن الدّاخل إلى الخارج ، و هو التَّعبير مُمتزجاً بالخواطر التي تَتلقاها النَّفس"[2].

"و نرى أنّ هذا الفَّهم النّفسي للصّورة الشِّعرية التّامة الّتي تعَمل في ثَناياها عملا كاملاً عِند العقّاد قريب من الصّورة «الرُؤيوية» الّتي تَعتمد في تَشكيل أُسسها على الشُّعور الوِجداني الغامض وخَيال المؤلِف ذلك أنّ هذا النّوع مِن الصُّوّر ذو تَجربة إنسانية يَتخطى بها حُدود الرُّؤية البَصريّة المباشِرة لِيّنفذ إلى الرُّؤية الشِّعريّة عَن طريق الإستكشاف و الشُّعور الباطنINTOROSPECTION ، أو ما يُسميه العقّاد يقظّة الشُّعور الباطني في تَحليله لِحواس "ابن الرومي".[3]

فنفس الشّاعر تامة الأداء تَشعر شُعوراً شديداً بالحياة مِن حيثما واجهتها وتَداخل الطبيعة في كُل جُزء مِن أجزائها ، فَقد عاش صاحبها يَوماً مِن عُمره ، وناحية مِن وِجدانه ، ولابس الحياة ولا بسته.

وَدامت الدُّنيا لَه غصّة كَأنّما الجارية النّاهد

وَمَعنى ذلك أنّ "ابن الرومي" في تَصوُّر العقّاد ملك جهاز حسياً ونفسياً شَديد الدِّقة والحساسيّة ، لا يكتفي ابنقل ما يَقع على الحواس مِن مَرئيات ومَسموعات وَ مَشومات و مَذوقات ، والمقابلة بَينهما دون إشراكهما بِيقظة الوَعي الدّاخلي.[4]

---

[1]- نفسه ، ص 43-44.

[2]- زين الدين مختاري ، الاتجاه النفسي في فن السيرة عند عباس العقاد ، ص 130.

[3]-المرجع السابق ، ص130-131.

[4]-ينظر:نفسه ، ص131

وفي هذا يَقول العقّاد:....كلاّ فإنَّ هذه اليَقظة الحسيّة لِتُصاحبه يقظة في الشُّعور الباطني يَسري به في كُل مَسرى ، وتنفذ به إلى مَنفذٍ ، وتُترجم العَواطف والأخلاق كما تُترجم المناظر والألحان ، إلاّ أنَّ العقّاد لا يَقصد بهذه المزاوجة بين اليَقظة الحسيّة واليَقظة الباطنيّة طَمس ظاهرة الحقيقة وإلغاء الوَعي الظّاهر باسم "الوَعي الباطن" ، كما يَزعم الغلاة مِن المقصورين.[1]

كما استدلّ العقّاد مِن شِعر"ابن الرّومي" في قَصيدته في أبي صقر بقوله:

أجنت لك الوجد أغصان وكُثبان فيهن نَوعان تفاح ورُمـــــــــــــــــــــان

فَوق ذَينك أعناب مَهد لـــــــــــــه سُود لهنّ مِن الظّلماء ألـــــــــــون

وتَحت هاتيك عناب يلوح به أطّرفهنّ قُلوب القوم قِنـــــــــــــــــــوان

غُصون بان عليها الدّهر فاكهة وما الفواكه يَحمل

البـــــــــــــــــــــــــــــــــــــان

فهذه هي صورة جمع فيها العقّاد الطّبيعة الفنيّة ، والأدوات الّتي ساهمت في نشأة الصّورة ، فرأى أنّها تمثّلت في الإدراك الحِسي والإدراك الباطني ، الّذي حدّد طبيعتها الفنّيّة ، حيث اعتمد على الحِس الظّاهر والمتجسد في: الحَواس: كسود ، الظّلماء ، الدّهر ، قِنوان ، ناهيك عن الإدراك الباطني والّذي تمثّل في:أغصان ، كُثبان ، تفاح ، رمل ، عناب... ، والّتي تُؤكد على تَمازج النّشاط الحَسي مع النّشاط الباطني والّذي حوّل النّشاط الحِسي إلى نشاط تعبيري يُؤكد الإيحاءات والخلجات الطّبيعية النّفيسيّة.[2]

"إذن الصّورة الشّعرية عِند العقّاد يجب أن تنتهي إلى الدّاخل بَعد إدراكها مِن الخّارج لإعادة صِياغتها في إيهاب حي يَمزج فيها الجانب التّعبيري الحِسي بالجانب النّفسي الباطن ، فالصّورة الّتي قدّمها لنا العقّاد قد تناولت عَناصِر الحَركة والزّمان والمكان هي العناصر الّتي ساهمت في تَكوين نَفسيّة الصّورة ووقع الأثر النّفسي فيها، الزّمن تمثّل في:(سوداً ، ظلماء) ، أمّا المكان فهو:(أجنب لك الوجد ، أغصان ، كُثبان ، تفاح) ، أمّا الحَركة فتمثّلت في تَوارد المناظر لِلعين في الصّورة المتحركة:(أغصان ، كُثبان ، تفاح ، رمّان) ، فقد دلّت على الاستمرارية الحركة في الصّورة".[3]

---

[1]-ينظر:نفسه، ص131.

[2]-ينظر:سارة طلاب ، النقد النفسي عند العقّاد سيكولوجية الصّورة الشّعرية في شِعر بن الرومي ، ص47.

[3]-نفسه، ص48.

"لقد استخدم العقّاد المنهج النَّفسي في تَحليله لِلصورة لإبراز الإدراك الباطن لها والّذي يَنعكس على باطن الشّاعر بِحيث يُدعى في عِلم النَّفس بالا شُعور حيث قام العقّاد باستخلاص العِبارات الّتي تَدل على المكبوتات الباطنية لابن الرومي وإخراجها إلى منطقة الشُّعور في إيهاب شُعوري يُحيل إلى النَّفسية المضطربة".[1]

"هذه هي دِراسة العقّاد عن "ابن الرّومي" حياته مِن شِعره ، وهي كما هو مُوّضح دِراسته في شَخصيّة "ابن رومي" الإنسان كما تتجلى في الشِّعر الّذي يُصبح في هذه الدِّراسة وأمثالها مُجرد"وثيقة" تعني النّاقد فيما يَتصوّر على رسم مَعالم شخصية نظن أن الكثير مِن مَعالمها مُتصوّر ، إن لم يَكن مُتوهم والنُّزول بالشِّعر إلى مُستوى "الوثيقة " النَّفسيّة يَضع الكثير مِن مَعالمه "الفنيّة" الّتي يَجعلها النّاقد الأدبي همه الأوَّل بل شُغله الشّاغل ".[2]

إنّ المجال الأساسي لِعمل النّاقد هو النّص الأدبي نفسه ، بِوصفه نصاً أدبياً إذا ما احتاج إلى دِراسة شخصية الأديب أو جانب مِنها فَلكي يُلقي مِن خِلالها ضوءاً على هذا النَّص أو ذاك مِن أدبه ، أي اهتمام النّاقد بالأديب وشخصيّته هو اهتمام جانبي ، أو موظف لِخِدمة غرضه الأساسي ، وهو إضاءة لنّص الأدبي مِن جوانبه جميعاً ، أمّا الاهتمام بـــ"الشخصيّة "فهو ليس بالقطع مَجال عمل النّاقد الأدبي ، بل هو مجال عُلماء النّفس وحدهم.[3]

كانت هذه دراسة العقاد عن ابن رومي من خلال أشعاره ، أجمع العقاد على أن ابن رومي كان يعاني من مرض ألا وهو إختلال الأعصاب ، وهذا راجع لشدة تطيره وكذا التشاؤم وحياة البؤس التي كان يعيشها فهذه الحالة النفسية التي يعاني منها الشاعر مرجعها فقدان أهله من موت أمه وخالته وزوجته وأولاده ، فهذه الأزمات والمصائب جعلت هذا الشاعر يكتب أشعاره بنفسية محبطة ، فالعقاد استخلص حالته النفسية وكذا الجسدية والتي كان يعاني منها أيضا ، فكان يعاني من شيخوخة مبكرة ونحافة مقززة .

---

[1]-نفسه ، ص49.

[2]-عصام بهى ، مجلة النّقد الأدبي ، ص139.

[3]-ينظر:المرجع السابق، ص139.

ومن الشّخصيات الّتي درسها العقاد أيضاً وطبّق عليه المنْهج النَّفسي ، هي شخصية إسلامية بارزة قدَّمت الكثير للإسلام ، وهي أيضاً شخصيَّة عظيمة جَعلت لِنفسها مكانة لا يضاهيها فيها أحد ،فهو رجل عظيم بِكل ما تَحمله الكلمة مِن معنى ، وهذا واضح مِن خِلال صِفاته ومُعاملته الّتي أكسبته مَحبَّة الآخرين ، ومنَحته لقب "الفاروق" إنَّه "عُمر ابن الخطّاب" رضي الله عنه ، (581ه/644ه) ، ثاني الخُلفاء الرّاشدين ، قام العقّاد بدراسة هذه الشّخصيّة الفذّة ، مُستخلصاً أهم مزاياها وأعمالها.

إلاّ أنّ العقّاد قد أظهر حَرجه عِندما حاول أن يُجاري مَن يُسمَّون بالكُتّاب المنصفين الّذين يقرنون المدائح بالمعايب ، ويَمزجون النّقائص بالمناقب ، ولا يأتون بِحسنة إلاّ نقبوا عن سيئة تمحوها ، أو تُقلل مِنها وكان سِر حرج العقّاد أنّه لم يجد عيباً ولا نَقيصة ولا ما يستحق اللّوم عن حياة "عُمر" وأطواره مِمّا جعله يَتوقّع أن يُتَّهم بالمغالاة أو التّحيُّز والإعجاب ، وله العُذر كُل العُذر في ذلك إذ كيف يُحاسب هو أو غيره "عُمر ابن الخطّاب" وقد كان يُحاسب نفسه بأعنف ممّا يُحاسبه غيره.[1]

"فإنّ طبيعة "عمر ابن الخطّاب" وخلائقه ، كانت تُؤهله لِلزعامة عن جَدارة واقتدار ولكن أي نَوع مِن الزّعامة كان "لِعُمر" أن يناله؟لَم تكن هُناك زَعامة مُهيّأة له لولا الإسلام إلاّ زَعامة قبيلة (ابني عُدي) أو زَعامة قريش قبيلته الكُبرى ثُمّ يَنتهي به الأمر إلى هذا الحد ، ولا يسمع له بعد ذلك خبر شَأنه شأن مَن سبقوه ، ولكن الإسلام هو الّذي أبرز طاقته ، وأظهر مَواهبه ، وفجَّر قُدراته وكشف النِّقاب عن عَظمته عبقريته لِيُعزّ به الإسلام ويَزداد هو بالإسلام عِزّاً ، "فعُمر" الّذي عَرفه التّاريخ وليد الدّعوة المحمديّة دون سِواه ، ولولا الإسلام لَما عَرف العالم "عُمر".[2]

ونجد أنّ "عُمر" رضي الله عنه ، اجتمعت في شَخصه صِفات عظيمة ، أهلته أن يقود قبيلة ، ونجد أن الإسلامّ كان له الفضل في إبراز هذه الشّخصيّة العبقريّة ، الّتي أضافت لِلدّين الإسلامي الكثير ،

[2]-ينظر: عبّاس محمود العقّاد ، مجموعة العبقريات الإسلامية كاملة ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا-بيروت ، بط ، ب.س ، ص39.

[2]-عبّاس محمود العقّاد ، عبقرية عُمر ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا-بيروت ، بط ، ب س ، ص04.

فالصِفات الّتي كان يمتاز بها ، أهلته عن غيره وجعلته دائماً في المقدّمة ، وأهلته أيضاً أن يمسك هو الخِلافة ، فهذا لم يَكن مُجاملة له ، وهذا ما سنُوضحه:

فتَقدّيم "عُمر" عن أبي بكر لِلخلافة لم يكن مِن المفاضلة بين الرَّجلين ، وإنّما مِن باب التّوفيق بين الرّجل والموضع الّذي يَنبغي أن يوضع فيه ، والمهمّة الّتي يَنبغي أن يندب لها ، والرّسول صلى الله عليه وسلم كان يَعلم مَن هو "عُمر" ومِن هو أبي بكر وقد عادل بينهما حين قال: "إنّ الله عَزَّ وجل ليُليّن قُلوبَ رجالٍ فيه ، حَتى تَكونَ أَلْيَن مِنَ الْلِين ، وإنَّ الله لَيُشَدّدَ قُلوبَ رِجالٍ فيه ، حتى تكون أشَدّ مِنَ الحِجارة" وإنّ مِثلك يا أبي بكر مِثل إبراهيم قال: "مِن تَبعني فإنّهُ مِني ومَن عاصاني فَإنّك غَفورٌ رحيم".[1]

ومِثلك يا "عُمر"مِثل نوح قال:"رَبي لا تَذَرْ عَلى اَلْأَرْضِ مِنَ اَلْكافِرين دياراً" ، ومِثلك كَمثل عيسى قال:"رَابنا اطْمِسْ على أمْوالِهم واشّدُدْ على قُلوبهم فَلا يُؤْمِنُوا حتى يَرَوْا اَلْعَذاب اَلْأَليمَ" ، كان النّبي صلى الله عليه وسلّم يعلم أنّ "عمر" أشَد المسلمين في الله ، ويَعلم أنّ أبي بكر لَيِّنًا ، وهوادة ، فَتعزيز الإسلام بَعد نَبيه كان في حاجة إلى كثير مِن الهَوادة و المجاوزة ، وكذلك في حاجة إلى الصّرامة والشِدّة ، ولن تَذهب شِدَّة "عُمر" إذا احتاج إليها أبي بكر في مِحنته ، يَشْتد فيها اللين الوديع ، وإنّما الخوف أن يَذهب لين أبي بكر إذا اشتد "عُمر" ، ولا خوف أن يَلين "عُمر" وأبي بكر شديد[2].

"لقد كان "عُمر" أول مَن بايع أبي بكر وحثَّ النّاس على بيعته ، وقال لِأبي بكر وهو يضمد يَده لِيُبايعه:أنت أفضل مِني ، فيقول له أبي بكر بَل أنت الأقوى ، فيُجيبه "عُمر":أنّ قُوَّتي مَع فَضلك ، فأشار النّبي صلى الله عليه وسلم إلى خِلافة أبي بكر إنّما سَتكون قصيرة ، وسَيأتي بَعده "عُمر"وذلك حِين قال:"رَأيْت في المنام أني أنْزع بِدلو بِكرة على قَليب ، فَجاء أبي بَكر فَنزع ذَنوباً أو ذَنوبيْن نَزعاً ضَعيفاً والله يَغفِر له ، ثُمَّ جاء "عُمر" فاستحالت غرباً ، فَلم أرى عَبقرياً يَفري فَري ، حَتى رَوى النّاس وضربوا بِطعن".[3]

[1]-ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، عبقرية عمر ، دار النّهضة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، المهندسين ، القاهرة ، بط ، يناير1998 ص08.

[2]-نفسه ، ص10.

[3]-عبّاس محمود العقّاد ، عبقرية عُمر ، المنشورات المكتبة العصرية ، ص05.

وفسَّر ضُعف النَزع وكَونه ذَنوباً أو ذَنوبيْن ، بِقِصَر خِلافة أبي بكر ، وفسَّر فيْض الرَّيْ على يَد عُمر بِأنّه فَيْض العبقرية الّتي يَنْفسح لَها الأجل وتَتَّسع أمامها مَنادح العَمل ، ويُؤتى لَها مِن السَبق والابتكار... فَكل هذه الصِّفات اجتمعت في شَخص "عُمر" رضي الله عنه ، لأنّ تاريخه زاخِر بِتلك المَعاني في كَثير مِمّا أنجز ، لَقد كان عَبقرياً مُمتازاً حتى في تَكْوينه وأعماله.[1]

هَكذا كان "عُمر" رضي الله عنه عَظيماً بِصِفاته ، الّتي كوَّنت شخصيّته العَبقريّة ، وأعماله الّتي أكسبته مَحبّة النّبي صلى الله عليه وسلم وثِقته ، ولهذا رشّحه لِلخلافة.

وكان "الفاروق" إلى جانب صِفتي الامتياز بالعمل والامتياز بالتّكوين ، رَجُلاً مهيباً وهَيْبته مُرتبطة بِقُوَّة نفسه قَبل ارتباطها بِقُوَّة جَسده ، لأنّها تُأْخذ بالقلوب قَبل أن تُأْخذ بالعُيون ، وهذا الاتفاق بَين القُوَّتين أو بين المظهرين ، وباطنه دَليل على عَبقريته وعَظَمته وامتيازه.[2]

يَصِف العقّاد هذه المهيبة بِقوله: وقد كان الّذين يَعرفون "عُمر" أهيْب مِن الّذين يَجهلونه ، وتِلك عَلامة على أنّ هَيْبته كانت قُوَّة نَفس ، تَملأ الأفئدة قبل أن تملأ الأنظار...فهي هيْبة مِن قُوَّة النَّفس قَبل أن تَكون مِن قُوّة الجَسد ، إلاّ أنّه مَع هذا كان في مَنظر الجَسد رائعاً يَهول مَن يَراه ولا يَذهب الخَوف مِنه إلاّ الثِّقة بِعَدله و تَقواه ، كان طويلاً بائن الطّول يُرى ماشياً كأنّه صَلباً يُصارع الأقويّاء ويُروِّض الفُرس بِغَير ركاب.[3]

يَتَّضح لنا مّما سبق أنّ "عُمر" كانت له شَخصية نادرة ، تَجمع بَين القُوّة والصّرامة ، العَدل والإحسان ، فكانت له هيبة يَخشاها كُل النّاس ، سوءاً كانت هذه الهيبة في نَفسه أو جسده ، فبالرّغم مِن خِشية النّاس مِنه إلاّ أنّهم كانوا يثِقون في عَدله وعَفوِه ، وإلى جانب هذه الصِّفات كانت له صِفات ومزايا أُخرى وهي:

"كان ذا فَراسة نادرة ، وقُدرة على كَشف الخَفايا واستيضاح البواطن ، وكان يُحب التفاؤل ، ويَعند بالرُّؤيا والنَّظر أو الشُّعور على البُعد ، وهذا ما يُطلق عليه عُلماء النّفس المعاصرون "التّلباني" ولهفي ذلك مِن النّوادر ما يُبهر ، والقُوّة صِفة لازمت "عُمر" ودلَّت على مَناقبه... ، إلى جانب قُوَّته اشتهر

[1]-ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، مجموعة العبقريّات الإسلامية كاملة ، ص04.

[2]-ينظر:زين الدّين مختاري ، الإتجاه النّفسي في فن السّيرة عند العقّاد ، ص265.

[3]-ينظر:نفسه ، ص265.

بالعدل والرَّحمة والغِيرة ، والفِطنة والإيمان الوَثيق ، استمدّ هذه الصِّفات مِن روافِد شتّى ، بَعضها مِن وِراثة أهله وبَعضها مِن تكوين شَخصه ، وبَعضها مِن عِبَر الأيام ، وبَعضها مِن تَعليم دينه".[1]

يوصف "عُمر" بالعبقريّة إذا نَظرنا إلى أعماله ، ويوصف بها إذا نظرنا إلى تَكوينه ، الّذي جعله مُستعداً لِتلك الأعمال مُضطلِعاً بِتلك القُدرة ، وإن لم يَكن اللاّزم أن تقترِن القُدرة بالعمل الّذي تَستَطيعه لِما يَتَّفق أحياناً مَع وُقوف العَوائق بَينها وبَين الإنجاز أو الاتِّجاه إلى ذلك العَمل ، إلاّ أنّ "عُمر" كان رَجُلاً مُمتازاً بِعَمله وبِتكّوينه ، وكان وَفاء شَرط الامتياز والتَّفرد ، في نَظر الأقدمين والمحدثين مِن المِمنين بِدينه وغير المؤمنين.[2]

ومِن خِلال هذا يَتبيّن لنا أنّ"عُمر" اكتسب لَقب العَبقريّة عن جَدارة ، وهذا راجِع إلى عُنصرين هما أعماله وتَكوينه ، فهاذين العنصرين مَنحاه هذا اللّقب ، ممّا جعله يَتميّز ويَنفرد به عن غيره.

إذا وَصفته لِلأقدمين الّذين يَقيسون العبقريّة بالفراسة و الخِبرة ، عَرفوا مَن صِفته أنّ الّذي يوصف لهم رَجل مُمتاز أو نَسيج وِحدة ، وإذا وَصفته لِلمحدثين الّذين يَقيسون العبقريّة بالعلم أو مُشاهدة العلماء عرفوا مِن تِلك الصِّفة أنّه رَجل مُمتاز ، أو رَجل مَوهوب.[3]

هكذا كان رضي الله عنه رجُلاً مُمتازاً ، بِخِصاله وصِفاته الّتي أعطته تِلك الهيبة و تِلك الشّخصيّة والّتي أَجمع عليها كُل مِن الأقدمين والمحدثين ، على أنّها صِفات العبقريّة والعظمة.

ويُفهم مِن هذا أنّ الصّورة النّفسيّة ، أنها كانت إلى حدِ ما مُوائمة لِملامح الصّورة الجسديّة ، في البأس ، والصّلابة ، و القُوّة ، و هي مُوائمة تَتمّ عن تَمام عبقرية فذّة ، مُوجَّهة نحو أثر نافع فعّال، هو السّهر على خِدمة الرَّعيّة و رِعايَتها بِمُقتضى تَعاليم الدّين الإسلامي ، ويَستمد العقّاد هذا التَّوافق الجسدي في الدّلالة على العبقريّة ، مِن رأي "لميزور" الّذي يُحدّد لِلعبقريّة علامات مُميّزة ، تَتَّصِل بِلفت

[1] -عبّاس محمود العقّاد ، مجموعات العبقريّة الإسلامية كاملة ، ص05.

[2] -ينظر:عبّاس العقّاد ، عبقريّة عُمر ، دار النهضة المصريّة ، ص14.

[3] -ينظر:نفسه ، ص14

النّظر إلى النَّواحي النّفسيّة والجسديّة كَطول القامة أو قِصرها ، وجَيشان الشّعور ، و فَرط الحِس...والمكاشفة أو الشُّعور على البعيد.[1]

وقد مرَّ ابنا آنفاً أنّ "الفاروق" قَد حَقَّق شَيئاً مِن تِلك العلامات:كَطول القامة والقوَّة النّفسيّة الجسديّة ، ولكن هذه القُوَّة كانت ضَعيفة أمام الأمور الجليلة لِشدّة تأثُّره ، فَيظهر ذلك واضِحاً على سَحنة وجهه ، وخُصوصاً عِندما يَكون بَين يَدي الله خاشِعاً مُتضرِّعاً ، ولقد أتاح فَرط حِسه ووفرة شُعوره القُدرة على التّمييز بَين المذوقات و المشومات الّتي لا يَسهل التَمييز بَينها...فكان "عُمر" المُهاب سَريع البُكاء إذا جاشت نفسه بالخُضوع و الخُشوع بَين يدي الله ، حتى تَرك البُكاء على صَفحتي وَجهه خطّين أسودين.[2]

فالصِّفات الّتي اجتمعت في "عُمر" هي صِفات تدل على العبقريّة ، وأنّها تختَّص بالعباقرة فقط "فعُمر" رضي الله عَنه توفّرت فيه صِفات ومزايا عِدَّة ، جعلت الكُل يتحدَّث عنها ويُصنِّفها على أنّها صِفات لِشخصيّة فذَّة عبقريّة ، كما نجد أنّ هُناك علامات أُخرى تميّز بِها "الفاروق"ومِن أهمها:

إنّ أهم علامة تَميّزت بِها صورة "الفاروق" النَّفسيّة عُموماً ، وعَبقريّته خُصوصاً تِلك القُدّرة الباطنيّة على الإستنكاه والإستنباط والتَّنبُّؤ والمكاشفة ، وتَتَجلى هذه القُدرة في هيبة نَفسيّة لا يرى فيها كاتب السّيرة عَجباً أن تَتَّصل اتِّصالاً وثيقاً بالعبقريّة ، هي الفراسة وما يُشبهها مِن هِبات نَفسيّة أُخرى كاستنكاه الألفاظ في معرض التَّفاؤل أو الإنذار ، وله على كل هِبة شَواهد رُوِيَّت عَنه في جاهليته وبعد إسلامه إلى أن أدركته الوفاة.[3]

وذَكر العقّاد في كلامه عن صِفات "عُمر": بأنّه لم يَكن يَنثني لِلخطوب كَغيره ، وإنّما كانت تَنثني له الخطوب ، وعَبَّر عن كُل صِفاته بأنّها "تركيبة" وليست "تركيباً" ، ولقد رأى أنّ ، مِفتاح شخصيّة عُمر طبيعة الجندي في صِفتها المثلى ، وبيَّن أهم الخَصائص لِطبيعة الجندي في صِفتها المثلى: (الشّجاعة ،

[1]-ينظر:زين الدّين مختاري ، الإتجاه النَّفسي في فن السّيرة عند العقّاد ، ص266.

[2]-ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، عبقريّة عُمر ، دار النّهضة المصريّة ، ص16.

[3]ينظر زين الدّين مختاري ، الإتجاه النّفسي في فن السّيرة عن العقّاد ، ص267.

الحزم الصَّراحة ، الخُشونة ، النَّخوة...)وهذه الخصّائص كلها كانت واضحة في"عُمر" ، حتى أنّ بِمُجرَّد السُّؤال عن عظيم اتَّصف بِهذه الصِّفات يَأتي الرَّد:إنَّه "عُمر".[1]

فكانت هذه مِن طبيعة الجندي ، الّذي يَتَّسم بطبيعة صارمة وحادَّة وجازمة في مَواقِفها و قَراراتها ، وكذا يتميّز بالصّراحة والإخلاص والتَّفاني في العمل ، فهذه الميزات انفرد بها "عُمر" وتميَّز بها فهي تُلازمه أينما رحل وارتحل.

وهذا هو مِفتاح شَخصيَّته في صِفته المثلى والصّادقة ، يقول العقّاد:"أمّا "عُمر ابن الخطّاب" فقد كانت له طبيعة الجندي ، ظاهرة و باطنة تبُادر القُلوب كَما تُبادر الأنظار ، تُلازمه كَأنّها عُضو مِن أعضائه فَطبيعة الجُندي في "الفاروق" تامة مُتكاملة بِأصولها وفُروعها ، ويَندر أن تَتِّم طبيعة شاملة مِن رَجل وذلك هو المفتاح الصّادق الّذي لا نَعلم مِفتاحاً أصدق مِنه لِخلائق هذا الجُندي العادل الكريم.[2]

هكذا وَصف لنا العقّاد شخصيّة "الفاروق" ، الّتي لا تُشبه غَيرها فهي شخصيّة فذّة ونادرة سواءاً على المستويين النَّفسي والجسدي ، ونادراً ما تَجتمع كُل هذه الخِصال في شَخص واحد.

تِلك هي إذاً صورة "عُمر ابن الخطّاب" رضي الله عنه بِملامحه النَّفسيّة والجسديّة ، وقد قامت على دَلائل العبقريّة أو العَظمة ، وصِفات الإمتياز والخُلق الكريم ، والقُدرة الباطنيّة على مكاشفة الأسرار بالفراسة والظّن الصّائب ، وكان مَعالم هذه الصّورة تِلك الطبيعة العَسكريّة في صِفتها المثلى والصّادقة وقَد انطوَّت على مَجموعة مِن الخصّائص الأصليّة والفُروع الثّانويَّة ، تَنم كُلها على الأصالة وعلى سِمة عَسكري مَفطور على النِّظام ، وتدل هذه الملامح كُلها على تَكامل القُوَّة النَّفسيّة و الجسديَّة ، ولكنَّها قُوَّة حَليمة مُتسامحة ، مُوَجَّهة نَحو الخير والعَدل ، وضعيفة أمام المواقف الجَليلة المؤثِّرة.[3]

فقد دخل "عُمر" الإسلام مِن كُل أبوابه كالعاصِفة ، وكان إسلامه صَفحة جَديدة قد تَفتَّحت في العالم الإسلامي، وإذا كانت العبقريّة لا تَخرج عن مَعنى التَّفرد والسَّبق والابتكار...فقد تَجسَّدت كُل

[1]-ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، عبقريَّة عمر ، منشورات المكتبة العصريّة ، ص06.

[2]-ينظر:زين الدّين مختاري ، الإتجاه النَّفسي في فن السّيرة عند العقّاد ، ص ، 273.

[3]-ينطر:المرجع السابق ، 274.

هذه المعاني في "عُمر" ، وكان "لِعُمر" مَذهب في الأخلاق الاجتماعيّة يُشبه مَذهبه في القضاء ، فكان يَكره أن يَكشف المرء مِن أخيه ما يَستر عنه ويَنهي أن تَظن بِكلمة شَراً وأنت تَجد لَها في الخير مَحملا....[1]

وكان "عُمر" أكبر مُؤسس لِدولة الإسلام ، قبل أن يَكون أكبر فاتح في صَدر الإسلام ، وأنّه أسَّس تِلك الدّولة على الإيمان وكان مِن يَوم إسلامه آخذاً في تَشييد هذا الابناء ، حتّى تَركه وهو بَين دُوَّل العالم أرسخ ابناء ، وكانت حُكومته قائمة على أساس العَدل والحُرِّيّة ، ولو أردنا أن نُقارن بَين حُكومات العصر وحُكومته لم نجد أساساً لِلمُقارنة ، وإذا قِسنا ابنظام الحُكم في زَماننا ، وجَدنا الكثير مِن المستغربات الّتي تُحوِّل بَيننا وبَين تَقديرها الصَّحيح لِأوِّل وَهلة ، "فعُمر" أدى الواجب الحُكومي على الوجه الأقْوَم ، ولا سبيل لِمؤاخذته بِقيّاس حَديث أو قَديم.[2]

فمِن خِلال هذا تبيّن لنا أنّ "عُمر" هو من أَسِّس الدّولة الإسلامية ، وأنشأ حُكومته أساسها العَدل والحُريّة ، وهذا ما جعل حُكومته مُتميِّزة و مُستقرّة عن غيرها مِن الحُكومات ، فكان يَعمل بِمبادئ الشَّريعة الإسلاميّة ، وهذا ما كَتب له التَّوفيق والنَّجاح.

فافتتح بِذلك تاريخاً ، واستهلّ حضارة ، وكان أو مَن وَضع دُستور الشُّورى في الدّولة الإسلاميّة ووضع دُستور الحَرب لِقُوّاده ، ووضع لِنفسه دُستوراً قوامه (أن الحُكم مِحنة لِلحاكم ، ومِحنة لِلمُحتكرين) وأن لا يَصلح إلاّ بِشدَّة لا جَبريّة فيها ولا لِين ولا وهن فيها ، وأنّ الخليفة مَسؤول أمام الله والنّاس جَميعاً وأنَّ صلاح الأمر في ثلاث:(أداء الأمانة ، والأخذ بالقُوَّة ، والحُكم بما أنزل الله) ، وصلاح المال في ثلاث:(أن يُأخذ مِن حَق ويُعطى في حَق ، ويمنع مِن الباطل) ، ووضع دُستور الوِلاية وكان قوامه:(تَمييز بالواجب الكفاءة ، وليس تَمييزاً بالواجب و الإستعلاء).[3]

[1]-ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، مجموعة العبقريّات الإسلاميّة كاملة ، ص07.

[2]-ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، عبقريّة عمر ، دار النّهضة المصريّة ، ص08.

[3]-ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، مجموعة العبقريّات الإسلامية كاملة ، ص07.

"وتَناول الأُستاذ العقّاد بالإيضاح والتَّحليل مَوقف عُمر مِن آل البيت ، وردَّ على مَن اتهموه بأنّه كان يُناجزهم ، وأنّه حال بين علي والخِلافة ، ولقد كان رَأي الصَّحابة واضِحاً غاية الوُضوح ، يَحمل كُل إجلال وإكبار...فعُثمان ابن عفّان هو الّذي قال لِزياد: "لَن تَلقى مِثل عُمر...لَن تَلقى مِثل عُمر...لَن تَلقى مِثل عُمر" ، وقال فيه ابن مسعود:"كان إسلامه فَتحاً ، وكانت هِجرته نَصراً ، وكات إمامته رَحمة" ، وبكى علي يوم مات عُمر ، وسُئِل في ذلك فقال:"أبكي على موت عُمر ، إنّ مَوت عُمر ثَلمة في الإسلام لا ترتق إلى يوم القيّامة".[1]

كان "عُمر" رضي الله عنه ثَمرة ناجحة ، وكان فَخراً للإسلام والمسلمين ، فكانت صِفاته الرّفيعة العاليّة المستوى أكسبته مَحبَّة النّاس ، ومحبّة وإخلاص أصحابه ، فكانوا يُكنُّون له كُل الإحترام والتّقدير ، وكان هو أيضاً يُبادلهم الإحترام ويُشاورهم في الأمر.

كان "عمر" يرعى قَدر الصّحابة ، وأمّا عن ثَقافته فَقد كان مَوفور الحَظ مِن ثَقافة عَصره ، وكان أديباً مُؤرخاً و فقيهاً ، وخَصيباً مَطبوعاً على الكلام ، وشَغوفاً بالشِّعر الجيِّد وإن لم يَقله ، وهو الَّذي حَثَّ على تَعليم العَربيَّة ، وأوصى بِوَضع قواعد النّحو ، وأنكر بعض أنواع الشِّعر كالهجاء ، والتَّشبيب كما أنّه كان عالِماً بِتاريخ العَرب ، وأيّامهم ومَفاخرهم وأنسابهم ، وكان علِماً فقيهاً قال فيه ابن مسعود: "كان عُمر أعلمنا بِكتاب الله وأفقهنا في دين الله" ، وقال:"لو وُضِع عُمر في كفَّة ، ووُضِع عِلم الأرض في كفَّة لَرُجِّح عِلم عُمر" ، ويَرون أنّه قد ذهب بِتسعة أعشار العِلم.[2]

و"عُمر" صاحب السُّلطان الكبير ، والسَّيطرة الواسِعة ، كان يَعيش عِيشة الكِفاف إلى حد أزهد فيه الكثير مِن النِّساء ، فرفضن الزّواج مِنه ، وقد وَصفته إحدى الرّافضات وهي أبان ابنت عُتبة ابن ربيعة فقالت:أنّه رَجل أذهله أمر آخرته عن أمر دُنياه ، كأنّه يَنظر إلى ربِه بِعيناه.
وهذا الرَّفض خير دليل على عظمته.[3]

---

[1]-نفسه، ص08.

[2]-ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، عبقريّة عمر ، دار النّهضة المصريّة ، ص09.

[3]-ينظر:المرجع السابق ، ص09.

هذا هو "عُمر" وهكذا كانت شخصيته ، الّتي يَخشاها كُل النّاس ، هكذا كانت أخلاقه الرَّفيعة وعلاقته الصّادقة بربه ، فقد وَهب حياته كُلها مِن أجل خِدمة الإسلام والمسلمين ، فكان جُلّ وقته يَقضيه في البحث في أُمور الدّين ، ونشر القيَّم السّاميّة ، مِن أجل تحقيق المساواة بين جميع النّاس.

فشاء القدر أن يُقتل "عُمر" بيَّد الغَدر والتآمر والخِيانة ، وقد تكشَّفت له تِلك النِّهاية قُبَيل ذلك حينما رأى في مَنامه كأنَّ ديكاً نَقره نَقرتين ، فقال:يَسوق الله لي الشَّهادة ، ويَقتلني أعجمي...وفِعلاً مات "عُمر" بطعنات خِنجر(فيروز أبي لُؤلؤة) ، الّذي كان مِن سَبايا الفُرس بالمدينة...وذَهب رحمه الله شهيد مُؤامرة مِن أعداء الدّولة الإسلاميّة ، ودُفن إلى جِوار الحَبيبين "محمد صلى الله عليه وسلّم و الصِّدِّيق" رضي الله عنه.[1]

"ومِمّا لا شَك فيه أنّ العقّاد قد استطاع بفهمه النَّفسي ، وبراعة حَدسه ويَقظة ذِهنه ، أن يَرسم "لِلفاروق" صورة نَفسيَّة جَسديّة ، مُعتمداً في ذَلك على العلامات الذّاتيّة المتَّصلة بالتَّكوين النّفسي والخُلقي والجسدي ، وقد أوشك هذا الإغراق في تَحليل العَلامات الذّاتيَّة أن يُحوِّل الشَّخصيّة إلى شَخصيَّة فَرديَّة السُّلوك أقرب إلى الخَوارق مِنها إلى البَشر".[2]

كانت هذه بَعض الأخبار والأقوال والرِّوايات المنقولة إلينا عن "عُمر" رضي الله عنه ، وهكذا كانت دِراسة العقّاد لسيرة "الفاروق" ، ورَسم تِلك الصُّورة النَّفسيَّة و الجسديَّة ، وتَوضيح شَخصيَّة العبقريَّة فكانت لِدِراسته أهميَّة كبيرة في مَعرفة مَلامح هذه الشَّخصيَّة العَظيمة ، الّتي عَرفها التَّاريخ واعتزَّ بها فالفاروق يُعدّ مِثال يُقتدى به ويَفتَخر به كُل مُسلم ، لِما كانت له مِن مَواقف جليلة في نُصرة المظلوم وإعطاء لِكُل ذي حَقٍ حَقَّه.

فمن خلال اطلاعنا على السيَّر الّتي درسها العقّاد وِفق المنْهج النَّفسي ، وهي كثيرة ومُتنوعة كما ذكرنا سابقاً ومن خلال النموذجين:(ابن الرُّمي وعمر ابن الخطّاب)نجد أيضاً شخصية أُخرى طُبِّقت عليها هذه الدِّراسة ألا وهي شخصية الزَّعيم المصري "سعد زغلول" فهذه الشَّخصية قريبة جداً من العقّاد

[1]-ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، مجموعة العبقريات الإسلامية كاملة ، ص11.

[2]-زين الدّين مختاري ، الإتجاه النَّفسي في فن السّيرة عند العقّاد ، ص274.

ومُفضّلة عنده وعلى هذا قام العقّاد بدِراسة سيرته الذّاتيّة ، وأحاط بكل جانب من جوانب حياته الشّخصية السّياسيَّة.

فقال عنه العقّاد:

"سعد زغلول من عُظماء العالم الّذين تتجلى توفيقات التّاريخ في بيئتهم ونشأتهم و تجليها في حوادث زمانهم ، فهو إبن زمانه في طُفولته وصِباه وكُهولته وهرمه ، لم يُولد قبل حينه ولم يُولد بعده كما يحدث أحيانًا في نُشوء بعض العُظماء ، ولم تكن رسالته مُتقدمة ولا مُتأخرة عن الرِّسالة المطلوبة منه ، بل جاء كل عمل من أعماله بتقدير وتدبير يُخيّل إلى من يُراجعه أنّه برنامج مرسوم ، نشأ سعد بين الفلاّحين فاستطاع أن يحسّ شقاءهم ، ولكن لم يستطع أن يصير عليه كما يصير للزُّراع المساكين في كُل أرض منيت بالظُلم وابتلت بالفاقة".[1]

فقد وُلد الرَّجل في مُنتصف القرن التّاسع عشر ، وهي الفترة الّتي تعاظم فيها الشُعور بحق الشُعوب وحق الفرد ، واندلعت فيها الثَّورات وظهرت مطالب الإصلاح ، وحركات العِصيان على الحُكّام من الأجانب أو من أهل البِلاد ، يقول العقّاد:وُلد زغلول في تلك السَّنة أو بعدها بقليل ، وهي بيئة زمانية صالحة لميلاد الزَّعيم الّذي قُدِّر له أن يُحارب الظُّلم ، كصلاح البيئة التّي نشأ منها والبيئة المكانية الّتي نَبت فيها.[2]

هكذا كان وصف العقّاد "لسعد زغلول" ومنحه لقب الزَّعيم وهذا راجع لِما كانت له من خصال أهلته لحمل هذا اللّقب عن جدارة وهذا حسب معرفة العقّاد لِهذا الرَّجل ، فقال فيه أيضاً:

قدّ اجتمعت لسعد من مزاياه الشَّخصية ، ومن تَوفيقات العصر ، صِفة الزَّعامة الواجبة على المصريين ، فهو لأنّه كان فلّاحاً من أصحاب المراتب العليّا ، قد استطاع أن يجمع حوله السّواد والعلِّية من أبناء الفلّاحين وهو قوام الأُمَّة المصرية ، فكان يُطالب بالإستقلال من التُرك كما يطلبه من الإنجليز فقد استطاع أن يَمحو الفوارق الدّينيّة والعصبية والمذهبية في الحركة الوطنيَّة ، ولأنّه كان حاضر الفُتُّوة

[1] –عباس محمود العقاد ، سعد زغلول سيرة وتحية ، مطبعة حجازي بالقاهرة ، بط ، 1355-1939 ، ص50.

[2] – ينظر: زين الدين مختاري ، الإتجاه النّفسي في فن السيرة عند العقاد ، ص307.

وافر الحماسة في الشّباب والشّيخوخة ، استطاع أن يَقود الشُبّان المتلهبين ، والشُّيوخ المحنَّكين ، وقد استطاع أن يجمع الجيلين في ثورة واحدة قَّلما يَجتمعان.[1]

فمن خلال دِراستنا لكتب عن "سعد زغلول" تبيّن لنا أنّه يتّسم بالعظمة مُنذ طُفولته ، وكُرهه للظُلم وتمرُّده عليه ، جعله بالنشأة والوراثة ذلك الزّعيم الأحق بقيادة النّهضة المصرية ، كما أنّ له شخصيّة قويّة منحته هذا المنصب.

وعلى الرّغم من اتصاف "سعد زغلول" بسُلوك الجّديّة والّحزم ، وترفُعه عن اللّهو واللّعب في طُفولته فإنّه لم يكن يخلواً من المرح محروماً من الفُكاهة ، لم يَقتل فيه الجِّد تلك الأريحيّة الضّاحكة لأنّه مَلك نفساً أوسع من أن تستغرقها الصّرامة العابِسة ، و كان له طبعاً فكهاً ، وخُلُقاً عّذباً وسحيّة رَوْحاء ، وكان المرح من طبعه حتى في الطَّور الأخير من حياته ، ولعلّ عامل الوِراثة من جهة أُمه كان هو الطّاغي على سُلوكه فهي الّتي ربّته بعد وفاة أبيه الّذي أورثه الإقدام والثّورة ، وكل مواهبه العقلية والنّفسية ، وصِفات خُلقية كالأصالة والحماسة والحِكمة والقُدرة على ضبط النّفس.[2]

هذا هو "سعد زغلول" وهذه هي خِصاله وطِباعه الّتي عُرف بها ، وتقّرب إلى النّاس بِها ، فكان رَجُلاً مُتَّزن في شخصيّته بين الجِّدِّية والمرح ، كما أنّ لِعامل الوِّراثة دوْر كبير في ابناء شخصيّته ومنْحها لقب الزّعيم وهذا لِما كان يحمله من صفات نَفسيّة وخُلُقيّة ، فكانت من أُولى اهتماماته الإنصاف والعدل والمساواة بيت طَبقات المجتمع ، وكذلك نُصرة المَظلوم.

يُعرف أنّ الدّعوة إلى الإنصاف وكفّ الطُغيان ، تأتي من طَبقة لا هي بالمظلومة المكسورة ولاهي بالظّالمة الكاسرة ، أي تأتي من طبقة قريبة إلى الفريقين ، تُشبه الطّبقة الّتي نشأ فيها "سعد زغلول" والطَبقة الوُسطى ليست على نَسق واحد في التَّحفُّز لِرفع الظُّلم ، والقدرة على إنكاره ، والتّفكير في كبحه ولابُدّ من أسباب ترفع بعضها على بعض في هذه الخِصلة ، وتُتيح لِأُناس منها ما لا يُتاح لِغيرهم

[1] -ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، سعد زغلول زعيم الثورة ، مؤسّسة الهنداوي للتّعليم والثّقافة ، مدينة النّصر-القاهرة ، بط ، ب.س ص157.

[2] -ينظر:زين الدّين مختاري ، الإتجاه النّفسي في فن السيرة عند عبّاس العقّاد ، ص308.

على اختلاف المواطن والتُّربة ، والحالة النّفسيّة و الإجتماعية ، ولقد كانت هذه الأسباب كُلها في الجانب الّذي يُوافق عظمة سعد.[1]

"فسعد زغلول" هو فخر كل المصريين ، لِما قام به من أعمال في حَّق الشَعب ، من نشر القيّم النَّبيلة ، وإنصاف كل مظّلوم ، إلاّ أنّنا نجد أنّ هناك جدلا قائماً حول أصله ، وإلى أي قبيل ينتمي فكانت الآراء مختلفة ومُتباينة حول ذلك.

وقدّ أدى البَّحث في أصل سعد إلى اختلاف الأقاويل بين قائل يَزعم أنّه من البَدّو ، وقائل يَزعم أنّه من المغاربة ، وقائل يَزعم أنّه ليس من هؤلاء ولا هؤلاء ، ولكنّه يُشبه التُّرك في بعض الملامح والأخلاق فإنّ العقّاد يُثني بأنّ الحقيقة الّتي لا تقبل الجدل الكثير ، أنّ صِفات سعد الّتي لا شكّ فيها هي الأصلح لِزعامة المصريين ، وأنّ مزاياه الشَّخصيّة وتوفيقات زمانه السّياسيّة والإجتماعية قد جعلته كَفيلاً بتقرير مَكانه ، كما قرَّره لِنَفسه وقرَّرته الأحداث والتّوفيقات.[2]

ومن هذا وعلى حسب رأي العقّاد ، أنّ لقب الزّعامة لا يُمنح إلاّ لمن اجتمعت فيه المقوِّمات الكفيلة للظّفر بهذا اللّقب ، ويَقود أُمة بِشعبها بغض النّظر إلى أي قبيلة يَنتمي.

فهو في طبيعته العملية وفصاحته المقنعة ، وفُكاهته المرتجلة وعزيمته الماضية ، وسِماته المهيبة ومنزلته الرَّفيعة ، خيّر من تُرشحه مصر لِزعامتها من صميم تكوينها ، وإنّه الأصل في زعامة الشُّعوب ليس بعده رُسوخ ولا عُمق في الأُصول ، فالزَّعامة إذا بَلغت هذا المبلغ من الأصالة كانت قُوّة مطبوعة بل فُرصة إلاهية لا تُفرَّط فيها أُمة رشيدة ، ولا تقدر على التَّفريط فيها أُمة ولو كان ديْدنها التَّفريط ، لأنّ الأمر في هذه الزّعامة من وراء المشيئة والتَّدبُّر.[3]

[1]-ينظر:عبّاس محمودالعقّاد ، سيرة وتحيّة ، ص52.

[2]-ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، سعد زعيم الثّورة ، ص158.

[3]-ينظر:المرجع السابق ، ص159.

كانت هذه جُملة من ملامح الصُّورة النّفسية ، الّتي استخلصها العقّاد من بيئة سعد زغلول ونشأته وتربيّته ، وكان لِلوِراثة فيها أثر بالغ ، ويُضاف إليها ما كان من طَبيعة شخصيته وأخلاقه وثقافته فمن الصِّفات الّتي عَرفتها هذه الطَّبيعة:(الشَّجاعة في الّحق ، الصِّدق في النّفس ، الصَّراحة والإستقامة)، ويُلخص العقّاد هذه الصِّفات في قوله:إنّ "سعد زغلول" كان مِثالاً في الصَّراحة والجُرأة وطبيعة الكِفاح ولكن الّذين يفهمونه أنّه كان لذلك يَحمل سِلاح الصَّراحة ، لِيَضرب به ذات اليَمين وذات الشِّمال والّذين يُخطئون فَهمه ، وكانت صَراحته لإبداء الّحق....[1]

ويُضيف العقّاد إلى ملامح هذه الصُّور النّفسيّة ، صُوّراً أُخرى وراثية غلبت على شخصيّة سعد ، فقد ورث عن أمه كثيراً من مواهبه العقليّة والنّفسية واستمد منها الكثير من البأس والأصالة وقد سُئِل في شَيخوخته عن بعض ما يلاحظ عليه من تَراوح بين الحماسة والثَّورة والحِكمة ، فقال:إنّ خُلُق والدي هو الّذي يَتجلى في حينما أُقدم وأثور ، أمّا المَرحومة والِدتي فقد عُرفت بين أهلها بالحكمة والدّهاء والقُدرة على ضبط النّفس.[2]

كما أشرنا سابقاً أنّ "لسعد" مُواصفات ومزايا من أجلها اختاره الشّعب ليكون الرَّجل الأول في الدّولة وأن يتولى قِيادتها ، ومنحوه كل الثِقة ، وكان هو على مُستوى هذه الثِقة ، لِما له من شخصية قويّة ومُحنّكة تستحق تولي القِيّادة.

يقول كاتب السّيرة: أنّ "سعد" لو لم يَشتهر بالصَّراحة والجُرأة لاشتهر بالحيطة والدّهاء ... ، وربّما غلا "سعد" في الحيطة إلى حَد يُحيّر عارفيه ويَحسبونه لُغزاً يَضطربون في تعليله ، ومهما تَختلف التّفسيرات والتّأويلات ، فالأمر الّذي لا نَحسبه قابلاً لِلخلاف هو جلاء طبيعة "سعد" جلاء لا غُموض فيه ولا إبهام ولا شُذوذ عن النَّمط القَويم ، فلم تكن في الطَّبيعة أسرار ولا ألغاز ولا سراديب ، وكل شيء مَعروف أو مَيسور العِرفان ، وقُوّته كقُوّة الجَّيش الكبير الّذي لا تَستطيع أن تراه بِعيْنك.[3]

[1] -ينظر:زين الدين مختاري ، الإتجاه النّفسي في فن السّيرة عند العقّاد ، ص309.

[2] - ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، سعد زغلول سيرة وتحية ، ص58.

[3] -ينظر:زين الدّين مختاري ، الإتجاه النّفسي في فن السِيرة عند العقّاد ، ص310.

هذه هي الصِفات والخصال الّتي يبحث عنها الشَّعب ، والّتي هي مَن تَمنحه الإستقرار ، والنَّشأة السليمة ، فالرَّجل الّذي تُعطى له مسؤولية قيادة شَعب لا بُدّ أن تَتَوفر فيه كل هذه الشُّروط ، خاصّة في هذه المَواضع ، لِما لها مِن أثر كبير في النُّهوض والرُّقي بالشعوب وبالأُمَم.

كما يصف العقّاد الزّعيم ب:البطل الشُّجاع ، فالشَّجاعة عنده هي ليست عَدم الخَّوف ، وإنَّما التَّغَلب على الخوف ، وليست هي نَقيض العَقل والحِكّمة ، وإنّما الجُّابن و الضُّعف ، فَرُب رَجل لا يُبالي الخَطر يَكون اقتحامه جَهلاً بالخَطر عن العَواقب ، ويُشبه في هُجومه على الأُمور ، حَيواناً يَثب على فريسته كما يَندفع الحَجر ألقت به يَد قوِيّة فهو لا يملك الجُمود في مَكانه ، وإنّما الشَّجاعة الإنسانيّة الّتي تُشرِّف هذا الإنسان وتَرفعه إلى مقام البُطولة أن يَعرف الخَوْف ثُم يَكون أكبر مِنه و أقوى.[1]

هكذا وَصف العقّاد "سعد زغلول" وقال فيه أيضاً:أنّ الشّجاعة وَحدها لا تَهم في تكميل البُطولة وإنّما الّذي يَهم هو غرض الشّجاعة وأنّ الغلبة لذلك لا تَشهد بالبُطولة ، وإنّما الّذي يَشهد لها الميدان الّذي يحرز فيه الغلبة ، وأنّ الأنّانية لا تنقض البُطولة ، لأنّك قد تَجعل الخَيْر مَطلباً أنّانياً ، فأنت إذن خادم نفسك وخادم النّاس عن طريق نَفسك ، هكذا يَصف العقّاد البُطولة ويُميِّزها عن العظمة والإيثار والغلبة والشّجاعة ويَقول:إنّ البُطولة هي التَّضحيّة في سبيل الآخرين.[2]

يُشير العقّاد إلى أنّ البُطولة ليست كلمة تُقال ، وإنّما هي أفعال تُجسَّد على أرض الميدان ، وأنّها تَضحيّة في سبيل الآخرين ، كما يُبيّن لنا على أنها صِفة من صِفات"زغلول".

وإلى جانب هذه الصِّفات كالبُطولة والشّجاعة والتّضحية ، كان المنطق مرجعه في كل صِفاته وخِصاله ، وفي مَمارسة سُلوكه تَنُّم على القُوة والمعرفة في إبداء الرأي ، والجَهر بالصَّراحة ، ويَتصل هذا المَنطق إتِّصالاً وَثيقاً ابنفسه ويُسميه"النَّفس المنطقية" أو "مَنطق الحيويّة الجيّاشة القَويّة"فهو بهذا المعنى

[1] -ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، ساعات بين الكتب ، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة ، مدينة النصر-القاهرة ، بط ، ب.س، ص266.

[2] -ينظر:نفسه ، ص268.

مِفتاح أو مسبار طبيعته كما يُسميه الكاتب في هذا الموضع من السّيرة :ومن شاء مسبارًا لِطبيعة هذا الرّجل الصّريح في تَكوينه وكلامه فمسباره الصّادق هو منطق الحيويّة الجيّاشة حَيثما كان.[1]

وكل ما وافق هذه الحيويّة فهي من صفاته ، وكل ما ناقضها وخرج عليها فهي ليست من صَفاته وكل خصلة في "زغلول" فَمردّها إلى نَفس مَنطقيّة قويّة تُحب ما تُحب وتَكره ما تَكره لأسباب لا تستعصي على تَفسير ، فإن ظفرت أُمّة بالزّعيم الّذي تَكون طاعته من قبل إلهام ، فَتلك هي الزّعامة الّتي تَنتظرها الأجيال بَعد الأجيال ، وهذا الإلهام الفِطري هو الأثر الأكبر لِزعامة "سعد زغلول" ، وهو الشيء الّذي لا يَدخل في الإحصاء و الأرقام ، ولكنّه مع هذا الشيء لا غِنى عنه لِكل مَنفعة أو مَصلحة يُدركها الإحصاء وتَحصرها الأرقام.[2]

هذا هو "سعد زغلول" ، وهذه هي الصِّفات والخِصال الّتي جعلته زعيماً يُقتدى به ، ويَقود أُمَّة ويَمنحُها الأمان و الإستقرار ، والمساواة بين كل فئات الشَّعب ، فكان هَدفه من ترأُس الدّولة المصرية هو القضاء على الطّبقية ، وتحقيق العدل وإعطاء الحُرّية ونشر قيّم التّسامح والتّكافل بين شعبه ، وغرس مبادئ حُب الوطن وخِدمته.

كما كتب "سعد" في نَحو العِشرين من عُمره في "الوقائع المصرية" ، وصحيفة حُكومية يُشهّر بالإستبداد ويَحث على دَفعه ، ويَستشهد بقول النّبي صلّى الله عليه وسلّم:"إنّ النّاس إذا رأوا الظّالم فَلم يَأخذوا على يَديه ، أوشك أن يُعمِّم الله بعقاب مِن عِنده" ، وخَتم بقوله: "إنّ شريعتنا شريعة سَّمحة ، تأبى أن يَتولى أُمور ذَويها مَن لا يُراعون لِلّشرّع حُرمة ، ولا يَحفظون للسُّنَّة ذِمة ، وتوجَب الشّورى على كل الرَّعيّة والحاكم جميعاً ذلك هو الحَق ، والله يَهدي مَن يَشاء إلى سَواء السّبيل".[3]

وإلى جانب القُوّة النَفسية الّتي يَمتلكها "سعد" يمتلك القُوّة الجسديّة والّتي تُعد شرط ضروري للزّعيم لِمجابهة المِحن والخُطوب ، وللنُّهوض بِأعباء الأُمّة في القِيّادة والسّياسة ، وقد عرض كاتب السيرة بِوصف مُفصّل يَنُّم على إعجابه الشّديد بِصديقه الحميم ، ويَدل في الوَقت نَفسه على أنّ اللإتجاه النّفسي

[1] -ينظر:زين الدّين مختاري ، الإتجاه النّفسي في فن السّيرة عند العقّاد ، ص310.

[2] -ينظر عبّاس محمود العقّاد ، سعد زغلول زعيم الثّورة ، ص161.

[3] - نفسه، ص164.

يَقوم على الوَصف الجسدي إلى جانب الوَصف النّفسي ، يقول العقّاد:تراه فَتَرى مِن النّضرة الأولى أنّك أمام مَقربة مِن رجل مُمتاز في الصّورة كامتيازه في الطّبيعة ، وطَلعته تُذكّرك بِطَلعة الأسد في بأسه ونُبله وجَلالة محياه.[1]

بعدما عرّفنا كاتب السّيرة على جُملة مِن صِفات الزّعيم النّفسية ، والّتي كانت الُمقومات الأساسيّة الّتي أهلته للتّربع على عرش الرّئاسة ، وبما أنّ العقّاد مِن رُوّاد المَنهج النفسي والذي طبّقه على سيرته هذه حيث يؤكد أنّه لا يكتمل الوصف إلاّ بوجود الوّصف الجسدي والّذي يُعد مُكمِّلها للخُروج بصورة كاملة فيصف العقّاد "سعد" مِن خِلال شَكله الخّارجي فيقول:

له قامة مَديدة ، وَوَجه أقرب إلى البيَاض ، ورَأس مُستطيل في غير ضَخامة ، وعينان ثاقبتان يُطَبقهما أحياناً عند الحَماسة والغَضب فلا تَنتفخان ، إلاّ بمِقدار ما يَنطلق مِنها الشُّعاع كأنّه سَّهم نافذ ، وفَم أهوّت الشَّفتين ، كما يَصِف العَرب أفواه ألخُطباء المطبوعين...أوّل ما تُطالعك مِن رُؤية "سعد" مَهابة بالغة تَملأ ما حَوله مِن فَضاء ، ويَكون في المجلس مَن يَكون فيه كبار أو صِغار ، أقويّاء أو ضُعفاء ، فلا يظهر لك وأنت تَغشاه أنّ في المجلس غير "سعد زغلول" يَحس ذلك أعداؤه كما يَحس أصدقاؤه.[2]

ومن خلال ما ذكرناه آنفاً يَتبيّن لنا أنَّ تَعلق العقّاد بهذه الشّخصيّة البارزة ،و حُبِّه لها ، ومَنْحها لقب الزعّامة ،لم يَكن مِن باب المجاملة ،"فسعد" ، بصِفاته هذه ومَواقفه تُجاه شَعبه تَقرَّب النّاس مِنه وتعلّقوا به،"فسعد"ذِكراه تَبقى خالِدة عند كل مَن عَرفوه وأحَبوه ، وخاصَة عِند كاتابنا هذا الّذي نظّم له قَصيدة تخليداً لِذِكراه وسَمّاها "في تَحيّة زغلول" والّتي نَشرها يَوم نَقل رُفاته إلى الضّريح، وهذه بَعض الأبيات الأخيرة:

دّان يا سَعد لَك الذّكرى بِما شيّد الباني وما خَطَّ الزَّبــور

قَدَر نادى فلبَّته علــى

مَوعد الذّكرى صُخور وسُطــــــــــــــــــــــور

---

[1]-ينظر:المرجع السابق ، ص163.

[2]-ينظر:عبّاس محمود العقّاد ، سعد زغلول سيرة وتحية ، ص544.

أنا بان لَك في مُلك النُّهـــــــــــــــــــــــــــــى مَنزِلاً لا يَبقى ولا تبقى الصُّخور

مِن أسانيدك أساس لــه ومِن الحق له حُسن ونـــور

إن أنل شأوك فيه إنـــنّي بالّذي شَيدت مِنه لَفخـــور

فَتية الوّاد بِسعد أقتـــدوا إن تَخيّرتم له خَير وفـــاء

أُذكروه بالّذي يَعملـــه مِنكم العامل في غَير ونـــاء

واذكروه بالّذي امتاز بـــه مِن مَزايا الأبيات الوضـــاء

هَكذا يُخلّد سعد بَينكـــم هو تَخليد لِذكرى العُظمـــاء.[1]

[1]/-ينظر:المرجع السابق ، ص644.

تِلك هي إذاً صورة "سعد زغلول" بِملامحها النّفسية والجسديّة ، وقد قامت كما رأينا على مجموعة مِن عوامل الإستعداد المَوروث مِن ناحية الأبوين ، ومَجموعة مِن عوامل الإستعداد الفِطري مِن ناحيّة طبيعة الشّخصيّة ،ومِفتاح هذه الطّبيعة أو مِسبارها هو "مَنطق الحَيوية" ، أو "النّفس المنطقيّة" الّتي إليها مَرجع كل صِفاته وخِصاله. [1]

هكذا وصف لنا العقاد شخصية هذا الزعيم مستخلصا أهم مزاياه وصفاته النفسية والجسدية م خلال أعماله التي كانت في خدمة شعبه ولصالح بلاده ، فكانت أولى أهدافه هي منح الحرية الكاملة لشعب من أجل العيش في حياة كريمة بعيدا عن الظلم الاستبداد والعنصرية .

[1]/-ينظر:زين الدّين مختاري ، الإتجاه النّفسي في فن السّيرة عند العقّاد ، ص312.

من خلال عملنا هذا توصلنا إلى النتائج التالية :

-أنّ فن السيرة نشأ عند العرب قديماً ، وتطور مفهومه مع مرور الزمن ، فكانت في بداياتها عبارة عن تراجم واعترافات ، ومع مرّ العصور و التطور الزمني ، تطور هذا المفهوم وأصبح: جنساً أدبياً مستقل بذاته واشتهرت السيرة بنوعيها: الذّاتية و الغيّرية.

-ظهر لهذا الفن أُدباء اختاروا هذا الجنس الأدبي واشتهروا به ، فمنهم من كتب في كِلا النوعين ، ومنهم من اكتفى بنوع واحد.

-لهذا الجنس ألوان قريبة منه و المتمثلة في: "اليوميات ، المذكرات ، الإعترافات ، الرواية" ، فالتقارب يكمن في بعض الملامح كتسجيل الأحداث والوقائع.

وبما أننا تناولنا سيرة العقاد الذّاتية وسيّره الغيّرية تبين لنا من خلال ذلك:

-أنّ العقّاد انفرد عن غيّره في كتابته لسيرته ، بحيث أنه تناولها على جزئين كل جزء خصه بجانب من جوانب حياته وهذا الشكل من الكتابات لم يُعرف إلاّ عند العقّاد.

- إعتماد العقّاد على المنّهج النّفسي في دراسته للسيّر الغيّرية.

-تنويع العقّاد في اختياره لسيّر الشّخصيات منها ما يتعلق بالشّخصيات الشّاعرة "كابن الرُّومي" ، ودراسة سيّر العظماء "كعمر الفاروق" ، ورجال السّاسة إختار شخصية الزّعيم "سعد زغلول".

وفي الأخير نرجوا أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا ، فالبحث يبقى مفتوحاً للدراسة والبحث وهذا ما سنتركه للأجيال القادمة ، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب .

1/-المصادر:

1/- عباس محمود العقاد ، سعد زغلول سيرة وتَحيّة ، مطبعة حجازي بالقاهرة ، ب. ط ، 1355-1939.

2/- حياة قلم ، دار الكتاب العربي ، بيروت-لبنان ، ط2 ، 1969.

3/- عبقريّة عمر ، دار النّهضة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، المهندسين القاهرة ، (ب.ط) ، يناير 1998.

4/- أنا ، الإدارة العّامة للنشر والتّوزيع ، المهندسين-الجيزة ، ط3 ، أغسطس 2003.

5/- ابن الرّومي حياته مِن شِعره ، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة ، جمهوريّة مصر العربيّة ، (ب.ط) 2012.

6/- مجموعة العبقريّات الإسلاميّة كاملة ، منشورات المكتبة العصريّة ، صيدا-بيروت ، (ب.ط) (ب .س).

7/- سعد زغلول ، زعيم الثّورة ، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثّقافة ، مدينة النَّصر-القاهرة ، (ب.ط) (ب .س).

8/- ساعات بين الكتب ، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثّقافة ، مدينة النّصر-القاهرة ، ب.ط ، ب س.

9/- عبقريّة عمر ، منشورات المكتبة العصريّة ، صيدا-بيروت ، (ب ط)، (ب س).

ب/-المراجع:

1/- إحسان عبّاس ، فن السّيرة ، دار الشُروق ، ط1 ، 1996.

2/-أحمد حيدوش ، الإتجاه النّفسي في النّقد الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعيّة ، بن عكنون-الجزائر ط1 ، ب س.

3/- تهاني عبد الفتّاح ، شاكر ، السّيرة الذّاتيّة في الأدب العربي ، فدوى الطوقان ، جبرا ابراهيم جبرا إحسان عبّاس نموذجاً ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت-الصنايع ، ط1 ، 2002.

4/- شعبان عبد الحكيم محمد ، السيرة في الأدب العربي الحديث رؤية نَقديّة ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2008.

5/- عبد العزيز شرف ، أدب السّيرة الذّاتيّة ، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ب. ط 1998.

6/-نواف نصّار ، دِراسة تَحليليّة في سيرة عبّاس العقّاد ، دار المعتز للنشر والتّوزيع ، عمان-الأردن ، ط1 2013م-1434ه.

3/-الرّسائل والأطروحات:

1/-الهوّاريّة عرّاج ، تقاطع النّقد والإبداع في الأدب العربي المعاصر كتابات عبد الكريم الأشتر أُنموذجاً مذكرة مقدمة لِنيل شهادة الماجستير مشروع:السّيرة الذّاتيّة في الأدب العربي ، جامعة وهران ، 2011-2012.

2/- راوية سمير عاشور ، السّيرة الذّاتيّة الشّعرية والنّثريّة تجربة راشد عيسى ، رسالة مقدمة لِاستكمال متطلبات الحُصول على درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها ، جامعة الشّرق الأوسط ، تموز 2014.

3/-زين الدّين مختاري ، الإتجاه النّفسي في فن السّيرة عند عبّاس العقّاد ، أُ طروحة لِنيل شهادة الدُّكتوراه الدّولة ، جامعة أبي بكر بالقايد ، تلمسان ، 1997-1998.

4/-سارة طلاب ، النقد النّفسي عند العقّاد سيكولوجيّة الصّورة الشّعريّة في شِعر ابن الرّومي ، مذكرة تخرج لِنيل شهادة الماستر ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة 2014-2015.

5/-سناء كريم ، المنحى النّفسي عند العقّاد-عبقريّة عمر بن الخطّاب أُنموذجاً- ، جامعة أبي بكر بالقايد تلمسان ، 2015-2016.

4/-المجلّات والمقالات:

1/-جولان حسين جودي ، السّيرة الرِّوائيّة: التداخل الأجناسي وإشكالية التّصنيف ، مجلّة القادسيّة للعلوم الإنسانيّة ، المجلّد الثّالث عشر ، العدد الأول ، 2010.

2/-عبد المجيد البغدادي ، فن السّيرة وأنواعها في الأدب العربي ، مجلّة القسم العربي ، لاهور-باكستان العدد الثّالث والعشرون ، 2016.

3/-عصام بهى ، الإتجاه النّفسي في دِراسة الأدب ، مجلّة النّقد الأدبي ، مجلّد التّاسع ، مصر العدد الثّالث و الرّابع ، ب ت.

4/-محمد يوسف ، السّيرة الذّاتيّة وحقائقها في التّاريخ ، باحث في جامعة جواهر لال نهرو-نيودلهي-الهند iid-alraid.com.

5/-المواقع الإلكترونيّة:

1/-أحمد ابراهيم الشريف ، سارة العقّاد...حياتها وأسرارها ، https//m youm.com/

2/-أحمد تمام ، العقّاد...رحلة قلم(في ذكرى وفاته:26من شوال1383ه)
https//archive.islamonline.net.
3/- أيمن الجندي ، سارة الّتي أحبها العقّاد ، almasryalyoum.com.
4/-بدر محمد بدر ، رؤية نقديّة للعقّاد في ذكراه الخمسين ، www.aljazeera.net »news.
5/-حلمي النمنم ، "سارة" امرأة العقّاد الحقيقيّة ، www.alittihad.ae.
6/-خليل حمد ، المقال الأدبي عند العقّاد جمعاً ودِراسة ، https//books.google.dz.
7/-سارة سعيد ، العقّاد...مشوار أدبي تفوّق فيه التّعلم على التّعليم ،
8/-سمر حسن ، سلمان ، مفهوم الرِّوايّة ، mawdoo3.com.
9/-سلطان سعد القحطاني ، بين الرِّواية والسّيرة الذّاتيّة ، جريدة الشّرق الأوسط ، الخميس ، 01شوال 1429ه-02أكتوبر2008 ، العدد10901.
10/- شهيرة دعدوع ، مفهوم علم النّفس ، mawddoo3.com.
11/-شيرين طقاطقة ، عبّاس محمود العقّاد ، mawdoo3.com.
12/-عبد الله بقّازي ، منهج العقّاد النّفسي ، www al-madina.com.
13/-لي حضوري ، تقرير عن عبّاس محمود العقّاد ، www.alfaseeh.com.
14/-ممدوح السكّاف ، العقّاد في قصته "سارة":ثنائية بين الحُب والشّك ، thawra.sy.
15/-محمد السيد ، الأدب وعلم النّفس ، mawdoo3.co m.